خيري عبد الجواد

يومية هروب





الأعمال الروائية



يومية هروب

رواية

خيري عبد الجواد

لوحة الغلاف : حلمي التوني

خطوط الغلاف : حامد العويضي

الطبعة العربية الأولى : مارس ١٩٩٩

رقم الإيداع : ٩٩/١٨٥٠

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977-291-127-2



السلسلة الأدبية

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

المشرف العام

على السلسلة الأدبية

خيرى عبد الجواد

الجمع والصف الإلكترونى

مركز الحضارة العربية

تنفيذ : شريف على

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات

تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

خيرى عبد الجواد

يومية هروب

رواية



الفصل الأول

فى ظهيرة يوم حار

(1)

كان أول ضوء للنهار يتسلل من الشباك الصغير الوحيد ذى القضبان الملفوفة بالسلك المخرم ، واهنًا لا يكاد يبدد الحلكة الداكنة بالداخل ، بينما الشمعة التاسعة أو العاشرة الملصوقة بالجدار المهبب تجود بآخر ضوء لها فتراقص ذؤابتها قبل أن تغرق فى السائل الشمعى وتنطفئ .

نهض الجميع يفركون عيونهم من نوم قلق بعد أن سمعوا النداء الذى أطلقه الجندى الواقف على باب الزنزانة : انتباه يا بغل منك له .

تململ هو فى وقفته وأخذ ينقل ثقل جسده من ساق إلى أخرى . كان أول من لمح الجندى على باب الزنزانة من وقفته خلف شباك صغير داخل حمام يطل على الطرقة الداخلية للقسم ، ظل واقفًا طوال الليل ومنذ مجيئه ؛ فقط ليستطيع التنفس ، حين انفتح الباب ودخل ، دهمته رائحة نتانة وعفونة فكاد يتقيأ وشعر بخوف مفاجئ لرؤية الأجساد العارية المرصوصة على الأرض ، كاد يقع على أحدهم فضحكوا جميعًا وقالوا فى نفس واحد : اسم الله . أشار له آخر بالجلوس بجانبه وأفسح له مكانًا فجلس مستندًا بظهره إلى الحائط ، قال له : نورت . رسم على شفتيه ابتسامة وهز رأسه ، وبلا مقدمات وجد يده تتحسس جسده وجيوبه فنظر إليه مستفسرًا ، زغر الآخر متحديًا : عاوز تقعد هنا ومحدش يلطشك ، هات خمسة جنيه . شعر بالخوف فجأة وهو ينظر إليه ، كان ضخمًا وأصلعًا وله سمات المجرمين ، كان يرتدى (كُلُتًا) فقط ، باقى جسده كان عاريًا وثدياه ضخمان ومتهدلان .

أخرج من جيبه خمسة جنيهات أعطاها له دون أن يتكلم ، حفلات الاستقبال فى الزنازين سمع عنهـا كثيـراً ، ولو أن أحداً صفعـه على وجهه فلن يتـحمل الصفـعة وربما مات فـيها . قرفص سـاقيه ووضع ذراعـيه حولهـما ، وأسند رأسه إلى الحائط اللزج بفـعل العرق وسناج الشمع الذى كسـا الحائط وأحال لونه إلى الأسود المغبر . كانت الرائحة لا تطاق ، والساعة لم تتجاوز العاشرة مسـاء فى ليل يوليه السـاخن ، ولم يمض على مجيئه سوى ثلاث سـاعات فقط قـضاها فى حجرة المـباحث . أحس بضيق فى تنفـسه فقام وسـار حيث الحمام ، أراد أن يغـمر رأسه بالماء الذى رآه يتدفق بحرية مـن حنفية لا تغلق ، كانت المفـاجأة الكبرى حين وجد للحـمام شباكـًا صغيراً ، ووجـد أحدهم يقف خلفـه ، للحظة شعر أن حـياته مـعلقة بهـذا الشباك ، تقـدم من الواقف وقال له : تسمح لى أقف مكانك شوية . نظر إليه قليلاً قبل أن ينطق : بخمسة جنيه . لم يفـكر ، أخرج من جيبه وأعطاه فتـرك الشبـاك . أخذ نفسـًا عميـقًا فشـعر بالراحة ، لم يلق بالاً بـالماء المتدفق والذى أغرق قـدميه ، فـقط تشعلق بحديد الشباك ، وأخذ يتنفس هواءً حُرًا حتى الصباح .

(2)

انفتح الباب الحديد ، وأخذوا يخـرجون واحداً واحداً عند سماع الاسم، جلسـوا فى الممر أمام الزنزانة ، بينـما انفـتحـت الزنزانة الأخرى ، وأخـذت النساء يخـرجن هن أيضًا فى صف واحد كـان عدده أقل كثيـراً من الرجال . كانت الزنازين مـقامة مـنفصلة عن قسم الشـرطة بالقرب من مـدخله، ولها مدخل واحد عـبارة عن ممر ضيق وقف فيـه صفًا الرجال والنسـاء ، تعمد أن

تكون جلسته فى أول الصف حتى يستطيع مـد بصره خارج الممر فيرى الناس فى الخارج ، أخذ يبحث ببصره عنها حتى وجدها فاطمأن ، كانت جالسة فى مدخل الـقسم بالقـرب من الممر وقد ارتدت جـونلة سوداء وبلـوزة رمادية بينما ظهر وجههـا مجهداً دون طلاء ، أشارت له مبتسمـة فهز رأسه وانشغل بمتابعة ما يجرى حوله ، جاء عامل البوفيه ومد له يده بكوب شاى وكعكعة وأشار إلـيها ، ألقـى نظرة ناحيـتها فـهزت رأسـها ، شـرع فى تناول فطوره ، ولمحهـا هى أيضًا تفعل مـثله . بعد أن انتهى أخرج سيجـارة أشعلها وتأمل ما حوله ، كـان طابور النسـاء قد بدأ حديثًـا مع الرجال ، بينـما انشغل الـضابط النوباتجى بعَـدِّ قوائم الذاهبين إلى المديرية لـلكشف عن صحـيفة سـوابق كل منهم ، وأخذت شـمس يوليه تسلط جحيـمها على المكان ، مسح عـرقه بكم قميـصه وشعر بتنميلـة ساقيه فافـترش الأرض ومد رجليه أمامـه ، ولمح فتاة تفعل نفس الشئ فبانت ساقها اليمنى بيضاء منتوفة الشعر قبل أن تضعها تحت مؤخرتهـا ، أخرجت ثديها بيدها ، كان صغـيراً منتصبًا ومـدوراً بينما ظهرت ·تة حمـراء مشرعة فى الهواء لبرهة قبل أن تغـيب فى فم طفلها المضموم إلى صدرها ، كانت أجـمل من فى طابور النساء وأصغرهن ، بيضـاء ممتلئة قليلاً فى بلوزتها الحـمراء ذات الصدر المكشـوف ، وجونلتهـا السوداء المحبـوكة أظهرت خطوط السـاقين والفخذين. أحـست بنظراته فجـاوبته ونظرت هى أيضـًا إليـه وقـد أعطته ابتسـامة مغـوية ، ارتبك وارتد ببصره إلـى فناء القسم وإلـى حـيث تجلس زوجـته ، هذا هو يومـه الثـانى الذى يقـضيـه مع هؤلاء البشـر، أكثر من ستين رجلاً فى حجـرة لا تزيد عن مترين فى مـترين، ودورة ميـاه مسـدودة ، وحنفـيـة ميـاه تغـرق المكان بمياه لهـا رائحة كـريهة حـاملة

مخلفات الأمعاء وبول متخمر .

وهو يومه الثانى الذى يقضيه بعيدًا عن زوجته ولم يمض على زواجهما إلا أيام قليلة ، وها هى ذى تمضى شهر عسلها متنقلة خلفه بين القسم والمديرية .

هبُّوا واقفين عند سماع النداء ، واصطفوا ؛ كل اثنين وراء بعضهما ، تراجع هو للوراء متسللاً حتى أصبح فى آخر الطابور ، وبدأ المخبرون يضعون الكلابشات فى الأيدى ، كل اثنين معًا ؛ شمال أحدهما مع يمين الآخر ، حين أتى الدور عليه لم يبق معه أحد يزامله فى الأصفاد . وبدا أن عدد الكلابشات كان قليلاً مما أغضب أحد المخبرين فزعق : عاوز كلابش لوحدك يا روح أمك ؟! وأخذ يجول بعينيه بحثًا عمن يزامله ، لحظتها ، وكأنها كانت ترقب ما يحدث ، هبت واقفة وقبل أن يقع طفلها التقطته وجرت ملتصقة به : حطنى معاه والنبى يا حضرة الصول ، أنا أزامله . فرقع بشفتيه وهو يهز رأسه : الطيور على أشكالها، مدى إيدك يا مَرَه ، وأنت ياله . وللحظة ، شعر بتوتر عندما لامس جسدها جسده ، بينما هى ابتسمت وهى تمد يدها الشمال بينما رفعت طفلها قريبًا من كتفها ، وقالت : كده أحسن لى ولك ، هاريحك .

جاء أحد المخبرين ولمّ من كل واحد ثلاثة جنيهات مصاريف عربة الميكروباص التى سوف تنقلهم إلى المديرية ، غاب قليلاً ثم عاد معلنًا ذهابهم إلى المديرية مشيًا على الأقدام لأنه لا توجد عربة محترمة تشيل هذه الزبالة البشرية كما قال .

(3)

كانت الشمس تفحُّ ناراً حين تحرك الركب ، وكان الرجال والنساء يمشون فى طابورين وحول أيديهم القيود الحديدية ، وكانت المرأة الوحيدة فى صفوف الرجال مقيدة به ، ولأنها شعرت بأحدهم يتحسس مؤخرتها ، فقد قالت له : نمشى فى آخر الصف أحسن . ولم يشعر بهما العساكر والمخبرون الذين يمسكون العصى والبنادق على الجانبين وهما يقفان ويتأخران قليلاً حتى أصبحا فى آخر الصف . قبل أن يتحرك الركب أرادت زوجته الذهاب معهم ، لكنه أشار لها نظرة عتاب ولسان حاله يقول لها : هل هذا وقت الغيرة . يعلم أن سبع سنوات من الحب المتبادل والتى توجت بزواج دام عدة أيام هو ما جعلها تنظر إليه بعين الغيرة وامرأة تمسك بيده . انطلقوا مجتازين شريط السكة الحديد حتى وصلوا بداية شارع الجامعة ، ورأى العربات حين تجتازهم تهدئ من سرعتها وتنظر إليهم ، عدا فتيات وفتيان الجامعة فإنهم كانوا ينظرون إليه هو فقط دون الآخرين، أو هكذا شعر فأخذ يتصبب عرقًا ، ومد يده الحرة فمسحه ، وشعر بحاجته إلى سيجارة فأشار لها أن تمد يدها فى جيبه ناحيتها ، أرادت معابثته فوضعت يدها فى جيبه وقبل أن تمسك علبة السجائر والولاعة اتجهت يدها قليلاً إلى عضوه فانتصب ، وانتفض هو ونظر إليها ، فضحكت وهى تعطيه السجائر : لازم تاخد عنوانى وأنا هاروقك ، إلا بالحق ما قولتليش ، اسمك إيه يا خويا ؟ أشعل سيجارة وفكر فى إعطائها اسمه الحقيقى ، لكنه تراجع فجأة ، وقال : محمد ، اسمى محمد . عاشت الأسامى يا خويا ، أنا بقى اسمى زينب وشهرتى زوزو ، عنوانى مايتوهش. وصفت عنوانها بدقة شديدة وبالفعل فإنه لو أراد

الذهاب إليها فسوف يصل بسهولة . منهم لله ولاد الأبالسة ، كنت شغالة وزى الفل ، لكنهم قبضوا عليا متلبسة . قال من خلال دخان سيجارته : أول مرة ؟ عدلت من طفلها النائم على كتفها . وقالت : أول مرة وحياتك ، مش عاوزين يسيبوا الناس فى حالها ، منهم لله .

كان الركب قد وصل إلى منتصف الطريق فعبروا تقاطع شارع الجامعة مع شارع الجيزة والدقى ، وقد تحولوا إلى طابور واحد طويل يلهث من شدة الحر والتعب ، كذلك كان الجنود والمخبرون يشعرون بالتعب والظمأ، فطلبوا منهم ، وهم يلهثون ، أن يسيروا ببطء . أصبح هو وهى - بعد أن انضم النساء إلى طابور الرجال - الحد الفاصل بين الرجال والنساء ، فجأة سألته : وأنت يا خويا ، جاى فى إيه ؟ لم يكن عنده نية للكلام ، ورجاها فى سره أن تتركه لحاله ، وشعر بالزهق وهو يجيب سؤالها : جيش ، هروب من الجيش . ولابد أنها أحست به فاكتفت بهز رأسها ولم تعلق . انتهوا من الشارع واتجهوا إلى مبنى المديرية ، كان أمام المبنى حاجز حديدى رفعه أحد الجنود أمام المبنى ، فدخلوا من باب جانبى حيث ممر يفضى إلى ساحة حولها شبابيك كثيرة أشاروا لهم بالجلوس حتى يعطوا أسماءهم لموظفين يستخرجون لكل اسم صحيفته الجنائية . جلس وجلست بجانبه ، وأخذ طفلها يتململ حتى صحا من نومه فأخذته فى صدرها ، وبدأ يبكى، وبينما كان يشعل سيجارة ، شدت يده وأدخلتها فى صدرها ونظرت إليه وقالت : طلّعه عشان الواد بيعيط ، جعان يا عين أمه .

الفصل الثاني

الحياة مرة أخرى

(١)

توقفت العربة الميكروباص أمام مبنى سرية الشرطة العسكرية ، نزل وتبعته زوجته ، ثم بدأ كل من فى العربة فى النزول ، انتظموا فى طابور وأحاط بهم الجنود ، اقتادوهم إلى باب جانبى ضيق يفضى إلى حجرة الاستقبال فأجلسوهم بينما بدأت إجراءات التسليم والتسلم التى لم تستغرق وقتًا ، تحركوا مرة أخرى إلى الداخل ، ومن بعيد ، كانت زوجته تشير إليه حتى اختفت عن عينيه ، أدخلوهم إلى حجرة صغيرة تقع على جانب الممر ، جلسوا صفًا واحدًا على قرافيصهم ، وجلس جندى فى مواجهتهم يحمل مقصًا كبيرًا تذكر أنه رأى هذا المقص فى يدى رجل كان يمر من حارتهم مناديًا : أقص الحمير . تقدموا واحدًا فواحدًا وأخذ يضع المقص كيفما اتفق فى رؤوسهم فيجز الشعر من منابته ، كان هو آخر المتقدمين ، أخذ يتلقى بيده شعره الذى كان يقع كاملاً أمامه ، بعد الانتهاء تحسس رأسه فظهرت تحت أصابعه نتوءات كثيرة ، ثم أمروهم بالوقوف صفًا واحدًا فى مواجهة الحائط مرفوعى الأيدى وكل واحد يصفع الذى يليه ، فأخذوا يصفعون بعضهم على أقفيتهم ، تقدم أحدهم وأخذ يصفعهم على التوالى مدة ساعة .

فلما أحس بالتعب اقتادهم إلى فناء المبنى حيث توجد حنفية مياه متصلة بخرطوم ضخم يشبه خرطوم المطافى ، وأمرهم بخلع ملابسهم ،

فوقفوا عرايا لا يسترهم شئ ، انتفض الخرطوم واندفع الماء يغمر أجسادهم ، ورغم حرارة الجو ، إلا أن الماء البارد جعل أجسادهم تتلوى وتتقلص ، وشعر بعريه أمام الجميع فتضاءل فى نفسه . بعد أن انتهوا من الاستحمام الإجبارى أشار جندى إلى الحديقة التى يكسوها النجيل فى منتصف المعسكر ، كانت أشجار الصفصاف على الجانبين سامقة وكثيفة ، وكانت أوراقها تتساقط بانتظام فتملأ الأرض ، سوف يقومون الآن بالتقاط أوراق الصفصاف وأعقاب السجائر وبقايا الطعام بعد أن سمح لهم بارتداء السِّلبِّ فقط ، وبدا لهم أنهم كلما رفعوا بعض الأوراق نبتت أخرى فى نفس اللحظة ، فالأشجار لا تكف عن رمى أوراقها ، وقبل أن تغيب الشمس كانوا قد انتهوا من تنظيف المعسكر ، فأخذوا يجرون فى المعسكر يمسك كل منهم مشمعًا يساوى به الرمال بينما البعض كان يرش الماء . اقتادوهم إلى حيث العشاء المكون من رغيف (جراية) وثلاث ملاعق من مربى اللارنج ذات المذاق المر . وبعد أن انتهوا أغلقوا عليهم الزنزانة حتى الصباح ، تسلم كل واحد بطانيتين ، واحدة للفرش تحته ، وأخرى للغطاء ، كانت الزنزانة بجانب البوابة . واسعة نظيفة ، ولها شباك يقع قريبًا من حراس البوابة ، فجأة شعر بحاجته إلى التدخين بعد أن فرش البطانيتين وجلس فوقهما مقرفصًا ومستندًا بظهره إلى الحائط ، أحس بالضيق فقد أخذوا كل متعلقاته ، أوقفوهم صفًا واحدًا للعرض أمام ضابط الشرطة العسكرية ، فأمرهم بأن يضع كل واحد أشياءه على المكتب فامتثلوا للأمر ، كرر الضابط : نظفوا جيوبكم وأجسادكم من كل شئ . نسى هو دبلة زواجه فى أصبعه ، فجأة

تذكرها وأخذ يخلعها ببطء ، وقف أحد معاونى الضابط وتجول أمامه بلا مبالاة ، وفى لحظة استدار وصفعه بقوة ارتج لها جسده، كانت المفاجأة عنيفة جعلت عينيه تحتبسان بالدموع ، وأخذ ينظر إليه طويلاً فانحفرت ملامحه فى ذاكرته ، الآن فى زنزانته يتذكره بسهولة فيشعر بالاختناق تعز عليه نفسه ، لو حدث وقابله مرة أخرى فسوف يجعله يندم ، لقد انحفرت أصابعه على قفاه الذى يؤلمه كلما تذكر ، دفن رأسه بين ركبتيه : هو الآن مدير كبير فى مؤسسة حكومية ، وهذا الجندى قد تم تعيينه بعد انتهاء تجنيده فى نفس المؤسسة ، وسوف يستدعيه كل يوم ويتلذذ بإهانته، بل سوف ينقله إلى بلاد لم يسمع عنها من قبل ، أما الجزاءات، فحدث ولا حرج . لا ، إنما هو قائده فى الشرطة ، وسوف يضعه فى السجن بعد أن يصفعه ويجعله يركع فى مزلة طالبًا العفو .. هل تريد الصفعة على قفاك أم على مؤخرتك أيها الجندى ؟! يريد سيجارة ، سوف يكون انتقامه فوريًا وقويًا ، كل من أهانه سيأخذ نصيبه ، بدءًا من لحظة القبض عليه ، وحتى حضوره إلى هنا ، يجعلهم صفًا واحدًا ثم يبدأ الاحتفال. لم يشعر بحاجته لسيجارة مثل الآن ، كان يدخر عدة علب أُخذت منه كلها على البوابة ، هنا غير مسموح بالتدخين ، أما فى قسم الشرطة ، فكل شىء مباح ، حتى الجنس، كان اليوم الأول هناك من أصعب الأيام التى مرت به ، أما الأيام التالية ، فعن طريق واسطة خرج من الزنزانة وأصبح يجلس فى النوبتجية بجانب الضباط، ثم بعد ذلك فى حجرة عامل التحويلة على دكة خشبية ، كانت الحجرة ضيقة ، بها مكتب وتليفون ودكة مربوطة بسلسلة فى حديد شباك صغير يطل على حديقة وعلى الشارع الخارجى ، من جلسته

كان يرقب المارة فى الشارع . وكم حسدهم على تلك الحرية التى يتمتعون بها، عامل التليفون يدعى إبراهيم ، تجاوز الأربعين بقليل ، له شعر رمادى وشارب ضخم ، توثقت علاقته به وكان يقتسم معه الطعام والفواكه والعصائر التى تأتى بها زوجته .

كان يجلس بالساعات ينظر إلى الطريق الخارجى من خلال الشباك ولا يقطع تأمله سوى دخول ضباط وأمناء الشرطة للحديث فى التليفون ، له ثلاثة أيام يرقب المارة فى الشارع ، وكم تمنى وجوده بينهم الآن ، لكن بصره يرتد إلى عامل التحويلة الجالس صامتًا ملمومًا فى بعضه ، وحدث فى الليل ما لم يكن فى الحسبان ، امتلأت الحجرة فجأة بالنساء ، فى القسم لا يوجد سوى زنزانتين ، واحدة للرجال ، وأخرى للنساء ، فى بعض الأحيان تمتلئ حجرة الرجال عن آخرها ، فيتم الاستعانة بزنزانة النساء أيضًا ويتم وضعهن فى حجرة النوبتجية أو مع عامل التحويلة على الأرض . إحدى عشرة امرأة جئن فى هذا اليوم وملأن الحجرة ، احتل هو الدكة الخشبية بينما فردن ملاءة وجلسن على الأرض تحت قدميه ، عشرة منهن قبض عليهن فى قضايا آداب، أما الباقية فقد تخصصت فى السرقة، كن جميلات بابتذال ، وأخذن يثرثرن وكأنهن فى نزهة ، عرف أن كل واحدة منهن جاءت بمفردها ، ولم يعرفن بعضهن سوى هنا ، وأنهن على مستوى عال من الثراء ولهن اتصالات بالكبار ، لذلك فكن على ثقة من خروجهن قريبًا ، اقترحت إحداهن أن تروى كل واحدة حكايتها حتى لحظة القبض عليها ، وغمزن له : سوف تعرف أسرارنا ، ولكن لا بأس ، فلم تعد غريبًا . وبدأت الأولى حكايتها فقالت :

(2)

الحكاية الأولى

كنت طفلة صغيرة حين حدث ذلك ، فقد كنت ألعب مع الأطفال أمثالى، وكان يوجد رجل يسكن جنب بيتنا ، وكان كبيراً فى السن ، وكان ينظر لى دائمًا فى الروحة والجيئة نظرات لم أكن أرتاح إليها ، رغم إننى كنت طفلة لا تعرف عن الدنيا أى شئ سوى اللعب ، وتحين الرجل فرصة ، وجدنى أقف فى الحارة وحيدة فقال لى إنه يريد أن يرينى لعبة جديدة وأخذ يتحايل علىّ حتى أخذني عنده ، ثم إنه أخذ يتحسس جسدى ويقبلنى فى فمى وهو يضمنى ، فخفت وأخذت أصرخ ، لكنه وضع يداً على فمى، ويده الأخرى أخرج بها شيئًا من بنطلونه ووضعه ، فكاد يغمى على، وأحسست وكأن سيخًا محميًا يكوى جسدى ، ولما فرغ تركنى من بين ذراعيه ، وأنا مكومة على الأرض وقد سالت دمائى على فخذىّ فارتعبت وبكيت بكاءً شديداً من رؤية الدماء ومن الحرقة الشديدة التى تحرق جسدى ، وأخذ هو يخوفنى تارة ويرغبنى أخرى ويقول لى : لا تخبرى أحداً بما حدث حتى لا أقتلك . وبالفعل لم أخبر أحداً ولكنى أصبحت ذابلة لا آكل ولا أشرب وزاد نحولى ، وكانت أمى ترقبنى ولم تخف عليها حالتى فصارت تلاطفنى وتجرجرنى فى الكلام حتى حكيت لها ما حدث ، فأخذتنى من يدى وذهبت بى إلى القسم فأخذوا أقوالى واستدعوا الرجل فلم يستطع الإنكار أمامى ، وأخذ جزاءه فى الحبس . أما أنا ، فقد عانيت كثيراً فى حياتى من تلك الفعلة والتى كلما تذكرتها اشمأزت نفسى من الرجال ، وكبرت ونما جسدى وأنا نافرة من الرجال ، ولا أطيق الاقتراب

منهم ، إلى أن تعرفت على شاب جـارنـا ، وصار يتودد إلـىّ ، وأنـا أهـرب منـه وهو لا يـزداد إلا إصـراراً على تعرفـه بى حتى وقـعت فى حـبه ، وفى ليلـة مـن الليـالى دعانى هذا الشاب إلى بيته فـترددت فى الـبدايـة ، ولكنى وافـقـت لما رأيت منه مـن أدب ودمـاثة خـلق ، وقـد لمح لـى بأنـه يـود الـزواج منى ، وفـى تلك اللـيلة كـان رقيـقـاً معى حـتى إنـه كـان يجلـس بعـيـداً عنى فـاطمـأنت نـفـسى إليـه، ثم إنـه أخـذ يتحـدث عـن زواجـنا وحيـاتنا معـاً وقـد انتقـل إلـى جـوارى فجـأة ، وأخـذ يتحـسس جسـدى بيـده ويـداعبنى فانحـلت مفـاصلى فتجـاوبت معه ولـم أبـد ممانعـة ، وإن هـى إلا لحظـات لـم أعـرف بعدهـا أفـى الأرض أنـا أم فـى السـماء مـن شـدة النشـوة ، فكانت ليـلة من أجمل الليـالى اختـرقنى فيـها ثلاث مـرات ورجعت لى ثـقتى فى نفسى ، ولـم يعد لى صبـر على الابتعـاد عنه فاسـتغل ذلك ، وكـان يعمل فى ملهى ليلى فكان يـأخـذنى معـه ويقـدمنى على أننى خـطيبـتـه لأصـدقـائـه ومعـارفـه فيـعجـبون بى وبجـمـالى الذى بهرهـم ، وكنت كلما حدثته فى أمر زواجنا مـاطلنى وأدار دفة الحديث لجهة أخرى ، فـأحسـست أنه يتهـرب منى وأن زواجنا من المحـال ، فـتعـرفت على غيـره وصرت فى كل يوم أتنـقل من رجـل إلى آخر وكانوا يدفـعون لى بسـخاء ، إلى أن كـانت ليلة كنت فيـها عنـد ثرى عربى فى شـقتـه فتم القـبض علىّ ، واعـتبـروه هو شـاهد ملك وبدأت الإجـراءات حـتى جـئت إلى هنا وهذه حكايتى .

***

الحكاية الثانية

ثم تقدمت الثانية فقالت : أما أنا فحكايتي تختلف وإن كانت النتيجة واحدة ، نشأت نشأة فقيرة فأبي كان يعمل «عتالاً».وكان رزقه ضيقًا ، يعمل يومًا ، ويظل أشهرًا لا يجد قوتنا ، ونحن ثمانية ، ثلاث بنات وثلاثة صبيان ، غير أبي وأمي ، ويشاء حظه التعس أن تكون بناته جميلات ، ولم تكن أمنا جميلة مثلنا ، لكنها كانت صبية وتصغر أبي بأعوام كثيرة وحياتنا تسير على منوال واحد لا يتغير ، أبي يخرج صباحًا بحثًا عن عمل ، ونحن نجلس في البيت لا نجد ما نأكله فكانت أمي تشحذ من الجيران بعض الدقيق والزيت والسكر ، وتعمل لنا زلابية أو فطيرًا نأكله فتسكت بطوننا حتى يحضر أبي متعبًا ومحطمًا من المشاوير التي قطعها بحثًا عن أي عمل دون جذوى ، فتعمل له أمي ما يأكله ، وكانت ترقبنا نكبر أمام عينيها وهي عاجزة عن فعل شيء تجاهنا ، وترى أبي قليل الحيلة فتنتحي ركنًا وتظل تبكي ، وكنا نرقبها فنبكي أيضًا لبكائها . وحدث أن امرأة تعمل خاطبة ، وهي جارة لنا ، جاءت لزيارتنا ذات يوم ، فرأتني أنا وأختيّ ، فحدثت أمي في أمر زواجنا ، وفي اليوم التالي جاءت إلى بيتنا ، وبصحبتها ثلاثة رجال عرب في سن أبي ، فأعجبوا بنا ودفعوا لأبي مبلغًا من المال ، وفي خلال أسبوع كنا قد تجهزنا للسفر ، فأما أختي الصغرى فسافرت إلى البحرين ، والوسطى سافرت إلى قطر ، وأنا طرت إلى السعودية ، وكان الرجل عجوزًا فلم يستطع القيام بواجبه نحوي ، فكان أولاده يتناوبونني سرًا واحدًا وراء الآخر ، وكل ذلك بأكلي وشربي ، وعاملوني معاملة العبيد فلم أستطع الاستمرار وطلبت الرجوع إلى مصر ، فرجعت يا مولاي كما خلقتني ، وما نابني سوى أن

فقدت عذريتى ، وقد علمت أن أختى الصغرى ماتت هناك لأنها كانت طفلة صغيرة ، والأخرى ضاعت بعد أن هربت من بيت زوجها ولا أحد يعرف عنها شيئًا ، وكنت أنا قد تغيرت ونضج جسدى فأصبح محل اشتهاء الجميع، فأخذت أبحث عن طلاب المتعة لأطعم أبى وأمى وإخوتى حتى قبض علىّ وأتيت إلى هنا .

***

الحكاية الثالثة

واعتدلت الثالثة ، وسرحت ببصرها فى سقف الحجرة وقالت : أما أنا فلن أطيل عليكن ، لأنى كلما تذكرت حكايتى انهمر دمعى على ما فات، فقد كان لى زوج محب وأولاد وبيت ، وكان زوجى يتمنى لى الرضا أرضى، لكن نفسى الأمارة بالسوء أبت إلا أن أسير فى طريق الوحل ، كان زوجى يعمل حلاقًا ، تزوجنا على حب وكانت أحواله ميسرة فأسكننى فى شقة جلب لها كل شىء ، فأنجبنا فى ثلاث سنين ثلاثة أولاد ، ولداً وبنتين ، لكن زوجى انشغل فى عمله فكان يذهب فى الصباح ولا يأتى إلى البيت إلا متأخراً مكدوداً ومتعبًا فلا يفعل شيئًا سوى أن ينام ، وكان لى أخ يحضر دومًا للسؤال عنى ، فجاء ذات يوم وبصحبته شاب صديقه ومكثا فترة ثم ذهبا ، وتكررت زيارات أخى وصاحبه فى غيبة زوجى ، وكان صاحبه شابًا ظريفًا أخذ يطرى على محاسنى ويلمح لى بالنظرات أنه معجب بى فى غفلة من أخى ، فأخذت أميل إليه وأشجعه ، حتى جاء فى إحدى المرات بمفرده وتهيأت لنا الظروف ، فزوجى فى عمله ، وأولادى عند أمى ، ولا أحد معنا فى البيت، ومن أول لمسة منه ذبت بين ذراعيه ونسيت كل شىء إلا ما أنا فيه.

واتفقنـا أنا وهو أن يأتى كل يوم بعد أن يذهب زوجى إلى عـمله ، فكان يرقب زوجى حـتى يخرج ثم يأتى إلىّ فـيجـدنى مهـيأة له . وحـدث فى أحد الأيام أن كان عندى ، وكان زوجى من عادته أن يتركنى نائمة ، فتذكر بعد أن ذهب إلى عمله أنه نسى شيئًا على البوتاجـاز ، فرجع وفتح بمفتـاحه حتى لا يوقظنى وتسـحب داخلاً فسـمع أصواتًا آتيـة من حجـرة النوم، ففـتح الباب ووجدنى عـارية فى أحضـان ذلك الشاب ، ومـن شدة ذهوله أخـذ يصوّت ويلطم خديه ، انتهز الشاب فـرصة ذهول زوجى فقفز من البلكونة وهرب ، أما أنا فـقد اكـتفى زوجى بتطليـقى بعد أن أعلم أهلى بما حـدث ، ووجدت نفسى فى الشـارع فجأة بلا زوج أو أولاد أو أهل ، فـذهبت إلى ذلك الشاب فطردنى خوفًا من الفـضيحة ، فلم أجد أمـامى سوى المشى فى الطريق الذى اختـرته لنفـسى ، وهو ذنب زوجـى وأولادى ، ثم إنهـا أخـذت تبكى وظل الجميع يواسينها حتى هدأت .

كان الليـل قد انتصف ، وتغـيرت نوبتـجيـة عامل التـحويلة فحـل محله عـامل آخر لـم يكن يشعـر تجـاهه بارتيـاح ، وتكومت النسـوة على الأرض والتصقن ببعضهن وأخذن فى النعاس ، بينما جلس هو فوق الدكة الخشبية لا يستطيع النوم ، وتأمل عريهن فشعر بتـوتر وانتصاب ، وتذكر زوجته وزواجه القصير ، ما الذى تفعله الآن ، هل هى نائمة ؟ أم أنها سهرانة تفكر فيه ، تذكر ليلتهما الأولى معًا فازداد توترًا . أتى بعض أمناء الشـرطة فوجدوه مستيقظًا ، أمروه بالنزول إلى الزنزانـة للمبيت فـيها ، آلمه ذلك وأشعـره بالإحباط ، فـقد كانت صـحبة هؤلاء النسـاء تروقه، فهـى أهون فى كل الأحوال من صحـبة حلمبـوحة أبو قصـة أو عبده كوارع ومـحمد كـرشة وغيرهم من الأسـماء

العجيبة والتى تضمها زنزانة الرجال ، قضى الليل مؤرقًا حتى الصباح حين أتى عامل التحويلة ليخرجه من زنزانته.

لما اجتمع بهن مرة أخرى أخذن يضحكن ويغمزن بعيونهن ويتهامسن، فأدرك أنهن يعرفن أشياء لا يعرفها ، لكنه كان متشوقًا لسماع بقية حديثهن فبدأن .

***

الحكاية الرابعة

تقدمت الرابعة فقالت : إن حكايتى تبدأ من حيث نشأت ، كان أبى رجلاً مزواجًا يعشق النساء ، وهو وإن كان فقيرًا ، فإن النساء كن يعشقنه، كانت أمى الثامنة فى ترتيب نسائه ، والرابعة ممن كن على ذمته ، والأعجب من ذلك أنه جمعهن فى شقة واحدة صغيرة بأولادهن ، فكنا ثمانية عشر أخًا وأختًا ، غير أربع زوجات وأبى فيكون مجموعنا ثلاثة وعشرين فردًا ، وكان أبى رغم فقره ، وسيمًا طويلاً ممشوق القوام ، يعتنى بنفسه وبمظهره حتى لتحس أنه أحد أبناء الأثرياء ، وكانت زوجاته جميلات أيضًا فأخذنا من أبى وأمهاتنا ذلك الجمال ، وكنت أنا أجملهن ، وكان أبى يلذ له جمع زوجاته الأربع على سرير واحد بعد أن ننام جميعًا ويبدو أنهن أحببن ذلك فكن يتفنن فى إرضائه والتقرب إليه ، وفى ليلة من الليالى رأيناهن ورأينا أبى عاريًا بينهن، فأخذنا نتفرج عليهم ونسمع أصواتهم ، وهم يظنون أننا نائمون ، فأخذنا فى تقليد أبى وزوجاته أنا وإخوتى فى لعبنا ، فكنا نخلع هدومنا ونتفرج على أعضائنا ونتحسسها ونقلد أصواتهم ، وهكذا استمرت ألعابنا إلى أن كان يوم من الأيام كنت نائمة بين إخوتى فأخذ أحدهم يتحسسنى

فاستسلمت لمداعباته، وعملت نفسى نائمة وظننت أنه يلعب معى، فما كان منه إلا أن مد إصبعه وخرقنى ففض غشائى ، ارتعبت وأخذت أبكى ، لكننى لم أخبر أحدًا ، وكنت وقتها ابنة أربعة عشر ، ومن يرانى يظن أننى ابنة عشرين، وقد أحببت ابن الجيران ، وكان شابًا فقيرًا ، وتقدم لخطبتى فوافق أبى لأنه كان يتمنى أن يزوجنا جميعًا ، وكانت إجراءات الزواج سريعة حتى حلت ليلة الدخلة ، فى تلك الليلة أخبرت أمى بما حدث من أخى ، فلطمت خديها ولم تدر كيف تتصرف ، ثم إنها أحضرت زوجين من حمام فذبحتهما ولطخت بدمهما منديلين خبأتهما فى صدرها ، وأخبرت عريسى أنها سوف تدخل معى هى وحدها لإزالة بكارتى لأننى مرتعبة وخائفة ، وانطلت الحيلة على الجميع ، وخرجت أم تزغرد وقد نشرت المنديلين على يديها ، والجميع يظن أن هذا دمى ، واستمرت الأحوال بزوجى تمر من سيئ إلى أسوأ فيومًا يعمل وعشرة يظل جالسًا فى البيت بلا عمل حتى ضقت ذرعًا وأخذت أتشاجر معه كثيرًا وأعايره بأنه عاطل ، فلما أعيته الحيلة قرر السفر إلى العراق لعل حظه هناك يكون أسعد حالاً ، وانقطعت عنى أخباره مدة طويلة كنت أثناءها أدبر حالى من هنا وهناك لأسد رمقى ، ثم أنه أرسل لى خطابًا يخبرنى فيه بأنه لم يجد عملاً حتى الآن وأن علىّ أن أصبر ، فلم أجد ما أفعله سوى أن أخرج للعمل ، وأن أعتمد على نفسى ، ولكن كنت كلما ذهبت إلى عمل أجد من يتطلع إلى جسدى ويساومنى عليه ، فاتركه إلى عمل آخر . وهكذا أخذت أتنقل من عمل لآخر حتى وقعت على عمل كان صاحبه شابًا وسيمًا، أظهر لى اهتمامه بى وأنه وقع فى حبى فأحببته أنا أيضًا . وأسلمت له قلبى وجسدى حتى سئم منى فهجرنى ، فاسودت الدنيا فى وجهى وأقسمت

أن أجعل الرجال يرتمون تحت قدمى ، فأخذت أعطى نفسى لمن يدفع أكثر اشتهرت ، وأخذ أكابر البلد يجيئون إلى طلبًا للمتعة ، حتى تشاجرت مع أحدهم فأبلغ عنى فقبضوا علىّ وأتوا بى إلى هنا وهذه حكايتى .

***

الحكاية الخامسة

ثم تقدمت الخامسة وقالت: كان لى جار شاب ظريف، نشأنا سويًا فأحببته وأحبنى، وتقدم لخطبتى فوافق أهلى لما عرفوه عنه من الاستقامة ودماثة الخلق، واستمرت خطبتنا ثلاث سنوات كان خلالها يجهز نفسه للزواج، وفى أثناء ذلك كان يأتى إلى منزلنا فكان أهلى يتركوننا سويًا فنتداعب بالأيدى والأرجل والضم والقبلات المختلسة، فيتأجج شوقى إليه وأتطلع إلى اليوم الذى يضمنى معه سرير واحد ، وقد جاء هذا اليوم، ويا ليته لم يأت، فبعد أن أغلق علينا الباب، خلعت ملابسى وتهيأت له فأخذ يضمنى ويقبلنى حتى غبت بين ذراعيه، واشتعل جسدى من الرغبة فى إتمام الوصال ، فإذ به يتركنى ويتكوم بجانبى وينام، فتعللت بأنه متعب ولابد له من إتمام ذلك غدًا ، وفى الغد تكرر ما حدث ، فأردت أنا معرفة ما به فاقتربت منه وأخذت أرغبه فىّ وأداعبه، وأمسكت آلته فوجدتها ميتة لا حياة فيها، وإذ به يرتمى فى حضنى ويبكى مرّ البكاء، فعرفت أنه ليس له فى النسوان، وأثناء بكائه أخذ يرجونى ألا أفضح سره فوعدته، وقد دفعته للعلاج فذهب لعدة أطباء دون جدوى، وظللت معه مدة ثلاث سنوات وأنا ما أزال بكرًا ، وفى مواجهة شقتنا، تقع شقة أخرى، يسكن فيها شاب عازب ، لمحنى ولمحته أكثر من مرة فى صعودى وهبوطى، وكان يبتسم لى

بأدب فأرد تحيته دون أن نتكلم ، لكن إشارات عينيه لم تكن خافية على من كانت في مثل حالتي ، وفي إحدى المرات بينما كنت صاعدة إلى شقتي كان هو يقف على باب شقته فتبادلنا الحديث لدقائق، فصارحني بأنه معجب بي، وأنه بإشارة من يدي يرتمي تحت قدمي، فكنت أرده بلين الكلام فلم ينقطع رجاؤه، وظل يلاحقني في غدوي ورواحي ويتغزل في مفاتني ويبثني حبه حتى وقع قلبي في محبته وصرت أتحين الفرص للاجتماع به، وكان زوجي يراني ساهمة واجمة فيظن أني متعبة، ولا يدري أنني أفكر في ذلك الشاب، وفي أحد الأيام كان زوجي مسافراً في عمل يتغيب فيه أسبوعًا، فارتديت قميص النوم الذي ارتديته ليلة الدخلة وتزينت وأفرغت العطور على جسدي فكنت كأحسن ما يكون، ثم إنني فتحت الباب وانتظرت خروجه، وعملت نفسي مشغولة بالقرب من الباب وأنا أتحين خروجه ، فلما خرج ورآني على ما أنا عليه وقد انكشف جسدي أخذ ينظر إليّ مبهوراً، وهو يظن أني غافلة عنه، ورفعت نظري إليه وكأني فوجئت ، وسألني عن زوجي فقلت : إنه مسافر. فتقدم مني وأغلق الباب وراءه وأخذني بين ذراعيه وأنا أدعي المقاومة حتى وقعت ووقع فوقي ، وخرقني برمحه فصرخت من شدة الألم، ثم بعد ذلك لم أتركه حتى أفرغنا ثلاث مرات أو أربع مرات بلذة عجيبة، وصرت لا أقدر على فراقه ، وكان زوجي قد لاحظ اهتمامي بنفسي فجرت الدموية في وجهي وجسدي وصرت أجمل من الأول، فبدأ الفأر يلعب في عبه فأخذ في مراقبتي دون أن أدري فكان يخرج إلى عمله ولا يذهب بل يحضر إلى شقتنا فلا يجدني، وأكون أنا في تلك اللحظة بين أحضان ذلك الشاب، وفي يوم من الأيام ذهب كعادته فتهيأت أنا لملاقاة

الشاب وكان زوجى يختبئ أمام المنزل ليرقبنى وأنا نازلة ، فلم أخرج، ودخل شقتنا فلم يجدنى فتأكد من أننى فى الشقة المجاورة مع ذلك الشاب، فذهب إلى قسم البوليس وعمل محضراً لى وجاء ومعه الشهود واقتحم الشقة فوجدنى عارية بين ذراعى الشاب فأثبت علينا جرمية الزنا ، وهكذا جئت إلى هنا .

(3)

تكررت حكاية نزوله إلى الزنزانة كلما جاء الليل ووجده أمناء الشرطة أو الضباط مستيقظًا ، وكان يتعجب لماذا يريدون إزاحته فى الليل وتساءل عن الغرض من ذلك إلى أن همست له إحداهن قائلة : إذا أردت أن تعرف فتصنع النوم حين يأتون وسوف ترى بنفسك . وكان بالفعل متشوقًا لمعرفة ما يحدث ، فتصنع النوم حين رآهم آتين ، وأرهف حواسه لما يدور حوله ، ألقوا نظرة عليه فوجدوه نائمًا ، وحتى يتأكدوا هزه أحدهم ، ثم بعد ذلك أخذوا يتحسسون النساء وسحب كل واحد واحدة، اختفى بها داخل المبنى ، ظل راقداً متصنعًا النوم حتى أوشكت الساعة على الثالثة صباحًا حين بدأت الفتيات يتسحبن إلى الحجرة منهكات ، وبمجرد لمسهن الأرض نمن ، وبدا له أن جميع من فى قسم الشرطة يعرفون ذلك . حكى لزوجته عما رآه وسمعه ، لم تعلق ، فقط ابتسمت واحمر وجهها فأحس غيرتها. فى الصباح الباكر تم ترحيلهن إلى مبنى سراى النيابة ، وأفرج عنهن بكفالة من مبنى القسم ، صعدن خصيصًا وسلمن عليه ، ضغطن على يده فى مودة غير مفتعلة، ابتسم وقال: يحز فى نفسى أننى لن أسمع بقية حديثكن. ضحكت واحدة وغمزت

له بطرف عينها: يا خويا يعنى هاتسمع أم كلثوم ، على كل حال ممكن نسمعهولك بس مش هنا ، تعالى لى وهاروقك وأسمعك لحد الصبح ، أعطته عنوانها ورقم تليفونها، الباقيات فعلن مثلها ، بعد أن غادرن المكان شعر فجأة بالوحدة ، ولم يجد ما يفعله سوى أن ينام . يحضر إبراهيم عامل التحويلة صباحًا فيجلس خلف المكتب يرد على التليفون ، يقوم بتدوين المكالمات فى دفتر كبير أمامه ، ولم تكن تخرج عن بلاغات عن جرائم تحدث أو حدثت ، اقترح عليه أن يقوم هو بالتدوين ، كان يمسك بالقلم الجاف المربوط من منتصفه بدوبارة فى الدفتر ، ويدون بالساعات ، جرائم قتل ، سرقة ، حرائق ، ثأر شيكات بدون رصيد ، اغتصاب ، زنا . قال له إبراهيم ذات يوم : هل تريد الاستحمام ؟ أومأ له بالإيجاب ، فأخذه من يده إلى دورة المياه ، وكانت زوجته أحضرت غيارات داخلية . غمز له : ممكن تاخد مراتك معك . أحس ناحيته بالامتنان ، فهو يعرف أنهما تزوجا حديثًا ، لكن ليس هذا بالمكان الملائم ، شكره وأخذ حمامًا باردًا فشعر بالانتعاش ، ثم بدأ يصطحبه إلى مقهى يقع بالقرب من مبنى القسم ، يجلس معه ساعة يتناولان الشاى والقهوة وقد ينضم إليهما بعض المخبرين ، كانت تلك الجلسات تجدد نشاطه وتعيد إليه توازنه ، يتنفس هواء حرًا ، ثم يرجعان مرة أخرى إلى حجرتهما .

شعر بحاجته الشديدة إلى سيجارة ، شم رائحتها فملأت خياشيمه تلفت فلمح أحدهم يدخن بحذر ، كان يضع السيجارة فى راحة يده فلا يظهر منها سوى الفلتر الذى يضعه فى فمه فتتوهج السيجارة فى راحة اليد دون أن يلمحها أحد ، آخر كان يجلس بجانبه يبدد الدخان بكرتونة فى يده ، لو لمحه

أحد حراس البوابة فسوف يكون عقابه صارمًا ، كانوا معه فى زنزانة واحدة فى القسم لذا فهم يعرفون أنه يدخن كثيراً ، وكان يعطيهم مما معه ، اقترب منه الذى يدخن وأعطاه السيجارة فأخذها متلهفًا وامتص نفسًا عميقًا ابتلعه ثم بدأ يخرجه ببطء ، وأحس بدوار وخدر لذيذ ، له يوم كامل لم يدخن ، ترك له السيجارة وانضم إلى زملائه وأخذوا يتحدثون فيما بينهم ، ثم رجع إليه وقال له : أنا شاورت الزملاء وقررنا أن تدخن أنت فقط . وأخرج من ثنية رجل البنطلون ثلاث سجائر، كذلك فعل الآخرون فكان المجموع ثلاث عشرة سيجارة من ماركات مختلفة تكومت أمامه ، قالوا إن السجائر تؤثر فيه بشكل كبير وهم يرونه متعبًا من عدم وجودها ، بينما يستطيعون التحمل. لم يستطع الكلام ، فهذا الموقف النبيل لا يجد له مبرراً خاصة أنه لا ينتمى إليهم ولا يجمعه بهم سوى الحبسة ، لكنهم أسروه بهذا الموقف . قرر أن يخبّئ السجائر تحت البطانية فهى مكان آمن ، وأنه يستطيع تدخين سيجارة كل ساعة حتى موعد الزيارة فى الغد .

كان متعبًا فتمدد فوق البطانية وفرد بدنه ، حين يكون الجسد متعبًا فإن الذهن يصبح صافيًا ، هو لا يستطيع تبرير ما حدث ، كأنه مقدر ومكتوب أن يهرب ، ثلاث عشرة سنة كاملة ، حدث ذلك فى منتصف السبعينات ، تحديداً عام سبعة وسبعين وتسعمائة وألف وبعد ثلاثة شهور أيضًا فقد اعتاد القول : لو جرى لها شيء فسوف يموت وراءها . الآن يدرك أن لا أحد يموت وراء أحد ، وأن الزمن يضعف من الكوارث الكبرى ، الغريب أن مرور الزمن يشعره بحنين جارف إليها ويعمق إحساسه بالفقد ، ودائمًا ما يجلس يتمثلها فى حياتها اليومية ؛ إيماءاتها ، التفاتاتها ، تبسمها وغضبها ، قامتها إذ تنتصب

واقفة ، نبر صوتها ، لحظات خفوته إذ تهمس ، لحظة رنت إليه وهو يحلق ذقنه للمرة الأولى .

تلهفها على احتضانه ، والزهو حين تراه أطول منها ، وإذ ترى منابت شعر شاربه مخضراً ، وإذ تراه يشاغل ابنة الجيران فتسعد .

كانت السيجارة الثانية بين شفتيه يشربها ببطء ، واجتاحته مشاعر أسى نحوها ، ماتت وهى دون الأربعين ، وكان هو أيضًا صغيراً ، وتردد فى نفسه سؤال : لو لم تمت ، هل كان سيهرب ؟ وكانت الإجابة واضحة أمامه : نعم، كان سيهرب كما هرب من قبل من أشياء كثيرة ، هو ذو طبيعة هروبية ، ومنذ أن كان صغيراً وهو دائم الهروب ، من البيت والمدرسة ومن زملائه ، واستمرت هذه الصفة ملازمة له حتى كبر ، فى العام الثانى والسبعين ، حين قامت حركة الطلبة الشهيرة فى الجامعة ، كان هو أحد زعمائها ، ترك زملاءه يسقطون فى أيدى الشرطة وهرب ، بل إنه تنصل منهم بعد ذلك ، ربما كانت هذه المرة هى أطول هروباته ، ثلاث عشرة سنة فى هروب مستمر ، لم يستطع الالتحاق بوظيفة . يطلبون دائمًا شهادة تأدية الخدمة العسكرية ، وكان عليه البحث عن عمل يأكل منه هو وإخوته الصغار وأبوه المسن ، ولم تكن المسألة سهلة ، لكنه رضى بأعمال يدوية شاقة لم تكن مناسبة لشاب حاصل على ليسانس آداب . فى الثامنة مساء يعود إلى البيت ولا يخرج أبداً تحت أية ظروف ، فقد تقابله دورية شرطة ، أو يقع فى أحد الكمائن المنصوبة على الكبارى ، أول شىء يفعلونه هو طلب بطاقة تحقيق الشخصية ، ثم بعد ذلك شهادة تأدية الخدمة العسكرية ، الغريب أنه فى الأيام الأولى من هروبه ، سرقت محفظته وبها البطاقة وكارنيه الجامعة وصور له ولأمه ، وقد ظل بلا

هوية حتى يوم زواجه .

انتهت السيجارة فأطفأها فى الأرض ، افتكر أن اليوم هو الخميس ، وأن الجمعة أجازة ، وسوف يتم ترحيله يوم السبت ، أمامه الغد بطوله إذن، كان الجميع نائمين وأصوات شخيرهم تتناغم وتتردد فى المكان ، ولابد أن الساعة تجاوزت الثانية صباحًا ؛ لأن الحراسة على البوابة تغيرت منذ دقائق ، ففى كل أربع ساعات يتم تغيير الوردية ، رأى أن عليه النوم الآن ، فأمامه ثلاث ساعات قبل حلول موعد فتح الزنزانة فى الخامسة ، فرد بدنه وأغمض عينيه فراح من فوره فى النوم .

(4)

فى الخامسة صباحًا انفتح باب الزنزانة ، وانتثروا واقفين على صوت الحارس ، خرجوا صفًا واحدًا حتى فناء المعسكر ، ألقى إليهم بالتعليمات: عليهم لملمة أوراق الصفصاف المتساقطة على الأرض وأعقاب السجائر المدفونة فى الرمال ، وكانت أشجار الصفصاف كثيفة على الجانبين ، وانتشروا يجمعون الأوراق ، ولم تكن المهمة سهلة ، فكلما التقطوا بعضها سقط غيرها ، واستمرت اللعبة حتى العاشرة ، ثم أخذوا يرشون الزرع تناولوا إفطارًا مكونًا من رغيف واحد وبعض حبات الفول المدمس ، ثم إلى الزنزانة مرة أخرى ، الساعة تقترب الآن من الواحدة ظهرًا ، وأمامه أربع ساعات كاملة قبل موعد طابور التمام فى الخامسة ، لم يشعر بالرغبة فى التدخين فتمدد على نمرته وفرد البطانية حتى غطت رأسه ، وحملق فى خروم البطانية

فكانت عشرات النقط المضيئة تتراقص أمام عينيه ، أمينة زوجته ، أين هى الآن؟ وما الذى تفعله فى تلك اللحظة ؟ هل هى نائمة ؟ مستيقظة ؟ فيم تفكر ؟ فى البيت أم عند أمها ؟ يشعر بحنين جارف إليها ، يذكر لقاءهما الأول ، أول حديثهما ، كان ذلك فوق كوبرى قصر النيل بعد رسالة دسها فى كتاب «آلام فيرتر» وحملها إليها أخوها الصغير ، فرحته بها لمّا أتت ، حديثه المتصل وإيماءاتها وهى تنظر إليه بإعجاب ، كانت فى الثانوية العامة ، لكن وجهها يسبح فى طفوليته الأزلية ، حدثها عن كل شىء مرّ بحياته حتى لحظة لقائه بها ، عن علاقته بأخرى عرفها قبلها ، حدثها عن هروبه من التجنيد ، وأنه لو لم يفعلها لمات فى وقتها ، وعن متعة التمرد على كل ما هو سائد ، كانت طفلة ترى العالم للمرة الأولى من خلاله ، يذكر اندهاشاتها الأولى وأسئلتها البكر ، اقترابه منها وتشممه رائحة عذريتها الطازجة ، ارتجافها إذ يمسك يدها البضة الطرية ، مواعيد ما بعد المدرسة فى كازينو الزهرة ، بحثهما الدائم ، إذ يجلسان ، عن الجرسون ومعرفة تحركاته لاختلاس قبلة ، فى كل المرات التى ذهبا فيها للكازينو لم يضبطا فى وضع مخل ، كانا يرصدان حركاته ويستمتعان بذلك ، يفعلانه بنشوة طفلين يكتشفان العالم للمرة الأولى ، فارق السن بينهما ست سنوات جعلته المعلم والمرشد وقائد مسيرة حبهما ، كان وقتها فى الرابعة والعشرين ، أما هى ففى الثامنة عشرة مراهقة جميلة لم تهجر طفولتها بعد ، كان يشعر أن مجرد لمسة من أصابعه يهتز كيانها ، يتدفق الدم فى كل جسدها ، بل كان يسمع صوت تدفقه فى العروق . حدثها عن الأخرى ، اسمها نادين ، وهى التى أعطته موعداً ، حدث ذلك فى مكتبة كانت تعمل بها ، وكان هو يطلب مكالمة تليفونية لا

يذكر لمن ، أخذت تلاحقه بنظراتها ولم تهمله ، ذهب متأخرًا فوجدها تنتظره على النيل ، صارحته بحبها من أول نظرة وصارت تتغزل فيه بينما جلس صامتًا ومربوكًا ، نادين تكبره بعدة سنوات ، تقابلا بعد ذلك عدة مرات ، حدثته عن موت أمها وأبيها ، رعاية أختها الكبرى المتزوجة لها ، جمالها ونضجها جعلا الخُطَّاب يفدون على أختها وزوجها طلبًا ليدها ، لكنها لم تحب أحدًا ممن تقدموا لها ، قالت أن أبرز ما يميزه هو طوله الفارع ووجهه الأسمر الوسيم ، وأن عينيه السوادوين بنظراتهما الحزينة هما ما جعلها تتعلق به ، وقالت إنها وصفته لأختها فأحبته هى أيضًا على السماع لأنه يشبه ممثلاً هنديًا . وكان هو صامتًا طوال الوقت مشوش الذهن ، ضربت له موعدًا آخر فى حديقة الأورمان ، ودهش عندما وجد معها أختها كى تراه عن قرب جلستا أمامه وظلتا تحدقان فيه ، تحدثت أختها عن ذلك الممثل الهندى والذى تحبه حب عبادة وقارنت بينهما ، قالت : أنت النسخة المصرية ، لكن تعرف ، أنت أكثر طولاً ووسامة منه ، وشعر بفرحتهما فى تلك اللحظة وهما تغازلانه ، بينما أغلق هو نوافذه الخارجية وانفصل عن عالمه ، يفعل ذلك دائمًا كلما حاول الهروب من شىء ما ، هذا الشىء كان يجرحه ، يشعره بالمهانة ، سلبيته فى مواجهة عالمه ، أنه ليس فاعلاً ، هروبه الدائم إلى أمه وكأنها يقينه الوحيد ، مر شهر على موتها ، كأنه مازال مربوطًا حبله السرى بها ، كانت تمثل له كل شىء رحلت فى الأربعين فزلزلت كيانه ، قربه منها جعله يرى الموت وجهًا لوجه : كيف مرضت ؟ لمح بداية غروبها ، شمسها إذ تأفل ، سكرات موتها ، نظراتها وإيماءاتها وإشاراتها ، آخر ما نطق به لسانها ، لا شىء يعوض فقدها ، منذ تلك اللحظة ، يشعر بالموت طوال

الوقت ، يناصبه العداء ، تحولت معركته مع الموت إلى مسألة شخصية . فاتحته نادين فى الزواج ، قال إنه هارب من التجنيد ولا يملك شيئًا ، انقطعت عنه أسبوعين ثم جاءته ، كان ثمة شيء فيها قد تغير ، وفاجأته بأنها تزوجت من ثرى عربى ، سافر هو وسوف تلحق به بعد شهر ، تزوجت فى شقة مفروشة فى وسط البلد ، تعرف عليها عن طريق خاطبة وتزوجها على الفور، اصطحبته إلى الشقة ، وهناك صارحته أنها فعلت ذلك لأنها تحبه ، وقد أدركت استحالة زواجه منها لأن ظروفه صعبة ، نادين أدخلته دنيا المرأة للمرة الأولى ، أعطته كل ما تريد إعطاءه امرأة محبة لرجل ، حتى المال الذى تركه لها زوجها ، كانا يتقابلان يوميًا فى الشقة ، وكانت هى مثل إسفنجة تريد امتصاصه لآخر قطرة ، أما هو ، فلم تكن المسألة تعدو محاولة أخرى للهروب من مشاكله التى لا حل لها .

سمعهم ينادون عليه فى الخارج ، انتبه وهب واقفًا باتجاه الباب ، انفتح باب الزنزانة ورمى له أحد الجنود قميصه وحذاءه ، قال له : لك زيارة فى الخارج .

أكمل ارتداء ملابسه واقتاده إلى حجرة الاستقبال ، لم يكن بها سوى امرأة جلست فى ركن الحجرة ، وتسمر فى مكانه ، آخر ما كان يتوقعه أن يجدها أمامه ، تذكرها على الفور رغم التغير الهائل الذى يشاهده الآن ، كانت زينب أو زوزو زميلته فى الكلبشات ، وقفت وأخذت يده فى يدها وأجلسته بجانبها ، ولمحت دهشته فابتسمت وقالت : سألت عليك فى القسم فدلونى على هنا ، ودلونى أيضًا على اسمك الحقيقى ، كانت ترتدى بلوزة سوداء ناعمة أظهرت كتفيها وجزءاً من صدرها ، وبنطلون جينز ،

وكانت جـميلة ، أخـذ الجنود يبصـون عليهمـا ويتهـامسـون ، أخرجت من حقيبتها أربع علب سجائر وعلبة عصـير مانجو ، فتحتها وأعطتها له : اشرب يا خويا ، دول بهدلوك يا عين أمك . ضـحك للهجتها الريفـية رغم مظهرها الأرستقراطى ، وفـتح علبة سجائر وأخذ يدخن بشراهة ، سـألها عن أحوالها فأخبرته أنهـا خرجت على ذمة القضية بكفالة ، وأنهم يراقـبونها ، لذلك فهى لا تعمل الآن وتدبر أحـوالها بصعوبة ، جلست مـعه ساعة تحـدثه ، أخرجت ورقة وقلمًا وكتبت عنوانها ، دسّته فـى جيب قميصه : أول ما تخرج وينفك حبـسك تجينى فورًا أو تتصل . سلـمت عليه بحرارة ومضت بعـد أن وعدت بزيارة أخـرى ، قال إن ترحيلـه غداً ولا داعى لتعـبهـا ، شكرها ودس فى يده بعض السجـائر وترك الباقى لهـا ، وقال إنه سوف يتـصل بها فور خـروجه . حل المساء فخرجوا صفًا واحدًا للتمام ، ثم بعد ذلك ذهبوا للعشاء ثم العودة مرة أخـرى للزنزانة ، وشعـر بسعادة غـامرة ، ذلك أن هناك من يهـتم بأمره ، وأنه غـدًا لن يـكون فى هذا المكان . تنهـد وأخـذ يدخن ، سـافـرت نادين وانقطعت أخبارها ، تعرف على أمينة وتوثقت علاقتـه بها ، أحبها حبًا جارفًا بينمـا الأخرى توارت فى الذاكـرة ، وأخبـرته أمينة أنهـا فاتحت أمـها ، وأنـها تعرف عـلاقتـهمـا ، وأنه لابد من التقـدم لخطبتـها وسـوف يوافقـون ، فهم يتفهمون ظروفه ، سوف يعرف من أبيها فيما بعد أنه كانت له نفس المشكلة ، وأنهـا أبدًا ما وقـفت عائقًـا أمام مـستقبله ، بل إنه تزوج ثلاث مـرات أثناء هروبه ، لكنه أخبره أيضًا أن مشـكلته لابد لها من حل وأنه يجب عليه تسليم نفسه . فى أحـد المساءات فوجئ بنادين تتصل به ، فـقد وصلت وتريد رؤيته حالاً ، مرت سنتان على آخر مقابلة لهما ، ووجدها فى انتظاره ، كانت معها

طفلة ابنة سنتين ، أرادت نادين احتضانه وتقبيله أمام ابنتها لكنه اكتفى بالسلام ، قالت إنها رجعت بالأمس فقط ، وإنها مجنونة من عدم رؤيتها له ، لم تكن تعرف علاقته بأمينة وأخذت تحدثه عن أحوالها هناك ، وإنها تكره زوجها خاصة بعد ولادة ابنتها وإنها طلبت منه الطلاق رغم إنه يحقق كل طلباتها . ثم سألته فجأة : إذا أنا طلبت الطلاق ووافق ، هل تتزوجنى ؟ لا أريد منك شيئًا سوى أن تكون معى ومع ابنتنا . ونظرت إليه تستطلع فى وجهه وقع المفاجأة : نعم ، هى ابنتك . لكنه لا يعرف شيئًا ، كان صمته طويلاً قبل أن يحدثها عن حياتها التى أصبحت تحياها بعيداً عنه ، ثم عن الأخرى التى أصبحت كل شىء فى حياته ، وأن عليها عدم طلب الطلاق طالما زوجها يحبها ، وما ذنب الأخرى وقد أصبح هوكل أملها . كان يتحدث ببساطة جارحة ، وكانت هى تسمع وقد جحظت عيناها وأخذت تعض شفتها حتى أدمتها ، فجأة انفجرت فى بكاء مكتوم وقامت وأخذت ابنتها ، وخرجت دون كلمة واحدة . لن يراها بعد هذه المرة ، إلا أنها سوف ترسل له خطابًا من هناك تهدده بفضح علاقته بها لدى زوجته ، وأنها الآن غنية وقادرة وسوف تدمر مستقبله ، وقد سأل نفسه مراراً : كيف تستطيع ذلك ؟

(5)

فى الخامسة صباحًا ، اصطفوا فى فناء المعسكر ، بعد التفقد نودى على كل واحد باسمه ، تقدم من مكتب الأمن معه مندوب الشرطة الذى سوف يتسلمه ويكون عهدته من الآن ، تسلم متعلقاته : ثلاثون جنيهًا ، ساعة يد،

دبلة فضة . ارتدى ملابسه الملكى ، كان مندوب الشرطة العسكرية طويلاً مثله ، وضع فردة كلابش فى يده اليمنى ، الثانية وضعها فى يده هو اليسرى وأغلقها ووضع المفتاح فى جيب سترته العلوى ، قال له ضاحكًا : لو أردت الهروب فعليك قتلى أولاً . لم يضحك ، ونظر إلى أوراق الصفصاف تملأ أرض المعسكر ، غمغم : امضغوها إذا شئتم . خطا خارج المعسكر فلمح زوجته وأخته فى انتظاره ، الآن يستطيع التدخين متى شاء ، تقدمتا وناولتاه س جائر وماء . ناولته زوجته (ساندويتش) وأعطته الآخر ، جلسوا يأكلون أمام محطة الأتوبيس ، بعد الانتهاء ، وجد الجندى يفك القيد من يده ، قال له : باين عليك ابن ناس ومش وش بهدلة ، منظرنا مش حلو ، وانت مش هاترضى لى الأذيّة ، اوعدنى ماتهربش فأنت عهدتى وأخش السجن بدالك هز رأسه وقال ثق بى ، ثم إن أختى وزوجتى معى فكيف أهرب . ركبوا عربة ميكروباص حتى رمسيس ، ومن هناك استقلوا أخرى حتى الهايكستب ، قال له : تعرف مكان الكتيبة ؟ قال إنه تركها منذ مدة طويلة ، لكن من المؤكد أنه سوف يعرفها إذا لمح بعض العلامات .

أخذ يتذكر بعض الضباط ، قائد الكتيبة وقتها ترقى وأصبح عقيدًا ، وقد انتقل إلى المدرسة العسكرية ، يذكر أيضًا النقيب هانى قائد العمليات ، والنقيب أحمد أبو الخير ، والملازم أبو السعود ، أما الجنود فلابد أنهم أنهوا خدمتهم . أخذت العربة تطوى الطريق ، بينما أخذ يفكر كيف سيستقبلونه ومَن من القدامى يتذكره ؟ كان مشهورًا بقرابته لقائد الكتيبة الرائد عبد البصير، لم يكن قريبه ، إنما جاره الذى تربى معه . اقتربت العربة من نهاية سور كان يعرفه جيدًا فأشار للسائق بالتوقف ، نزلوا وتقدموا ناحية الممر ، اجتازوا شريط

السكة الحديد ، ومروا من تحت أحد القطارات الواقفة حتى انتهوا إلى طريق أسفلتى ، تقدم هو والجندى بينما فى الخلف كانت أخته وزوجته ، ومن حولهم . كانت الصحراء تحوطهم وشمس يوليه فى منتصف السماء تصب لهيبها فوق رؤوسهم ، ظلال الأجساد المكدودة انطرحت خلف ظهورهم المحنية تئن من لفح الشمس ، تقدم الموكب حزينًا صامتًا فى طريق خلت إلا من بعض عربات الجيش تمر مسرعة بين الحين والآخر ، كان صوت لهاثهم يعلو الآن ، بينما الطريق بدت بلا نهاية ، ما الذى سيفعلونه معه ؟ سمع الكثير عن حفلات الاستقبال فى سجون الجيش ، المساجين القدامى سوف يحتفلون به على طريقتهم الخاصة ، سوف ينهالون عليه ضربًا ويأخذون ما معه ، يكلفونه بحمل خرائهم ، ويضعون قصاصات القماش المغموسة فى الزيت بين أصابع قدميه حين ينام ، ثم يشعلونها ، يعطونه آخر نمرة لينام عليها بالقرب من جردل البول ، وإذا استغاث فلا مغيث . إنه أحد الأعراف الراسخة التى يعرفها الجميع ، أحس بالرهبة وهم يقتربون الآن من قيادة اللواء ، يذكر أن للكتيبة مدخلاً خاصًا يؤدى إليها مباشرة ، اقتربوا منه يتقدمهم جندى الشرطة الذى تحدث مع جندى الحراسة على البوابة فتركهم يمرون ، دلفوا إلى بوابة الكتيبة ومنها إلى حجرة شئون الأفراد ، تطلع إليهم مساعد تعليم الكتيبة فتقدم منه جندى الشرطة بالأوراق ، تم التسليم والتسلم بسهولة ، جلس فى الحجرة وتقدم منه جندى الشرطة فسلم عليه وهمس : هل تريد شيئًا ؟ شكره وطلب منه إخبار زوجته وأخته أن تذهبا .

غادره ورجع إليه مرة أخرى بطعام وسجائر . جلس وحيدًا وأخذ يتطلع حوله ، كانت الحجرة بناء حجريًا ، مطليًا بالجير ، بها مكتب يحتل نصفها ،

علقت على الحوائط جداول بالألوان تحدد مهمات شئون الأفراد ، باقى الحجرة امتلأ بالصناديق الخشبية ، بينما جلس جندى فى ركن الحجرة يغسل سترته فى نصف جركن بلاستيك كبير ، وكان مساعد التعليم يلتقط سترة الفسحة من فوق مسمار فى الحائط فقال له : تنام هنا حتى أجىء فى الصباح وأحضرك . هز كتفيه دون أن يعلق ، كان مأخوذًا وشعر برهبة المكان ، ها هو ذا هنا مرة أخرى ، لا شىء تغير : الجدران الصماء ، والطلاء الجيرى المغبر ، مكتب قائد الكتيبة على ربوة عالية فى مواجهة شئون الأفراد، الحجرة التى على يمينه مكتب العمليات غادر الصول المكتب سريعًا ليلحق بالجهاز ، لا أحد الآن فى المعسكر إلا الخدمات والنوبتجية ، عرف من الجندى أنهم سوف يتركونه هكذا عدة أيام دون تحضير ، يفعلون ذلك مع العائدين من هروب ، إذا التزم وظل جالسًا فى المعسكر تبدأ الإجراءات، أما إذا هرب مرة أخرى ، فبركة يا جامع ، أضاف الجندى : تستطيع الذهاب الآن إلى بيتك وتحضر باكرًا ، فلا أحد يهتم بك الآن . تشبث بالفكرة ، وشرع فى تنفيذها ، بعد ثلاث ساعات من الركوب المتواصل أخيرًا حط بين أحضان زوجته التى فوجئت ، كانت خارجة توًا من الحمام بقميص نوم أبيض ، شعرها المبلول بلل وجهه ورقبته ، استقبالها الحار أنساه تعبه ، أخذ دُشًا باردًا وغير ملابسه ، أكل بشراهة وتحدث مع زوجته ، ثم اضطجع بجانبها حتى شقشقة الفجر الأولى فعاد مرة أخرى قبل أن يفطن أحد لغيابه فى الصباح ، انتشر خبر عودته من هروبه الطويل، سمع عن قائد الكتيبة الجديد ، لكنه لم يستدعه ليبت فى أمره ، وظل يذهب إلى البيت بعدما يغادرون المعسكر ويعود قبل طابور التمام ، فى

إحدى المرات تزود برسالة من قائد الكتيبة القديم للجديد ، قال إنه أحد تلامذته ، وأنه خدم تحت قيادته ولن يرفض له طلبًا . عند عودته للكتيبة كان يتحسس الرسالة فى جيبه طوال الوقت ، وشعر باطمئنان للمرة الأولى، كانت مفتوحة فقرأها عدة مرات :

بسم الله الرحمن الرحيم

أخى العزيز / محمد بك غريب

تحية طيبة وبعد

كيف أحوالكم ، والله لكم وحشة، ولك مدة لم تتصل بى فلعل المانع خيرًا أرجو الاتصال بى للاطمئنان عليكم وعلى أسرتكم الكريمة، وأعرفكم بأن حامل هذه الرسالة يخصنى أمره، وله ظروف خاصة سوف أشرحها لكم حين نتقابل، وكل ما أرجوه منكم تسهيل مهمته ، والتعاطف مع ظروفه، وخدمته إن أمكن ، وربنا ما يحرمنا من أياديكم البيضاء وفعل الخير.

وتقبل مودتى ، ،

أخوكم

مقدم عبد البصير

كان جالسًا فى مكتب التدريب حين دخل عليه الصول مساعد التعليم مشيرًا له : هيا بنا أدورك لمكتب القائد . سار بجانبه حتى باب المكتب ، تركه وغاب بالداخل دقائق ثم نادى عليه آمرًا : تقدم يا جندى ، صفا .. انتباه .. ثابت . تقدم الصول من قائد الكتيبة ووضع الأوراق أمامه ووقف (انتباه) صائحًا : تمام يا فندم . كان جالسًا خلف مكتبه يدخن ، يقترب من

منتصف الثلاثين بوجه أبيض مشرب بحمرة تميل إلى السمار ، وشعر أشقر قصير ، وعيناه الزرقاوان أخذتا تتطلعان إليه ، وبدا وجهه وسيمًا وهو يبتسم قائلاً : حمدًا لله على السلامة ، وما الذى جعلك تقطع أجازتك ؟ لم يجب ، فضحك وبدت لهجته التهكمية مريحة إلى حد ما ، فأخرج الخطاب من جيب سترته وقدمه له ، وقف صامتًا ، بينما فرد الخطاب ورجع بظهره إلى كرسيه المتحرك وأخذ يقرأ حتى انتهى فتطلع إليه : من أين تعرف المقدم ؟ قريبى يا فندم . وسيادتك تقرب له إيه ؟ ابن خالتى . كده ! طيب ، بص بقى يا حضرت هالله هالله على الجد ، والجد هالله هالله عليه . مش كده ؟ أومأ إليه فأضاف عايز تخلص أنا هاساعدك ، أما لو عاوز تلعب بديلك قوللى من دلوقت نفضها سيرة ، إيه رأيك ؟ بدأ الحديث يأخذ شكلاً وديًا وقال له : اجلس . فجلس ، وصرف الصول ولم يعد غيرهما فى المكتب . قال له : احكى لى حكايتك بقى .

لما انتهى من حكايته ظل القائد صامتًا لحظات ، ثم وقف فجأة واتكأ بيديه على المكتب ، وقال : طيب شوف يا سيدى ، المفروض أنك تدخل الحبس اليوم لحين محاكمتك ، لكن أنا مش هاعمل كده ، إنت باين عليك مش وش بهدلة ، هاتقعد فى مكتب التدريب ، أمام مكتبى ، وعلى مسئوليتى ، وعاوزك تبيض وشى ، يللا انصراف .

فى مكتب التدريب لم يكن يفعل شيئًا ، فقط يدخن ويظل منتظرًا حتى تحين الساعة الثانية فينطلق الجهاز عائدًا بهم إلى بيوتهم ، وينطلق هو أيضًا عائدًا إلى بيته دون استئذان أحد ، كان يعرف أنه بعد الثانية لا يوجد تمام ، التمام يأتى عند توزيع الخدمات فى المساء ، أما هو فمن المفروض أن تمامه

فى الحبس وليس فى الكتيبة ، لذا ، كان مطمئنًا لما يفعله ، وقبل طابور الصباح ، يجدونه متسكعًا أمام المكاتب . فى ذلك اليوم ، لمحه قائد الكتيبة واقفًا أمام مكتب التدريب ، أشار له ، فجرى نحوه . قال له مبتسمًا : تعرف أن الدنيا مقلوبة عليك ، وأمن اللواء أرسل لوضعك فى الحبس ، لكن أنكرتك . وضع يده على كتفه ونظر إليه : بص يا بنى ، أنا هاخدمك خدمة عمرك ، عارف السلك ده - وأشار بأصبعه إلى سلك شائك يحيط بالمعسكر - توجد فتحة فى السلك دور عليها تجدها ، اخرج منها ، اوعى تخرج من البوابة ، الأمن يمسكك ، أول ما تخرج اديها السكة مد يده فى جيبه أخرج كارتًا : الكارت ده فيه نمرتى فى البيت ، اتصل بى وطمنى إنك وصلت يللا مع السلامة . مشى مسرعًا ناحية السلك فزعق محذرًا اوعى يمسكوك على الطريق ، أنا معرفكش ، فاهم لم يشعر بالخوف كما شعر به هذه اللحظة ، ظل يبحث حتى وجد فتحة السلك فاجتازها ، وتلفت يمينًا ويسارًا فلم يجد أحدًا على الطريق ، ولمح معسكرًا مهجورًا فى الناحية الأخرى ، هل يجتاز الطريق ويمر من خلال هذا المعسكر ؟ لكنه مكشوف وسوف يلمحونه على البوابة ، أيضًا التحريات المنتشرة فى المنطقة سوف توقفه ، ما الذى يفعله الآن ؟ ثلاث كيلو مترات لابد من قطعها مشيًا على الأقدام فى منطقة مكشوفة حتى يخرج إلى الطريق السريع الذى لا يخلو أيضًا من رجال الشرطة والتحريات ، جلس على حجر محتميًا بساتر الخدمة متطلعًا إلى الطريق ، لو لمحه أحدهم الآن ، فسوف يدخل مرة أخرى من السلك ويختفى فى كتيبته . المرات التى ذهب إلى البيت لم يكن يعرفه أحد ، أما الآن ، فالجميع يبحثون عنه ، وربما كانوا يحملون صورته ،

وإذا رجع كتيبته فسوف يجيئون لأخذه ، ولن يحميه قائد الكتيبة ، وفى الحبس ، سوف ينتظر إجراءات المحاكمة التى قد تطول عدة أشهر يقضيها محبوسًا . كان الحل الوحيد أن يعبر الطريق إلى الجهة الأخرى أسرع من البرق ، يختبئ فى المعسكر المهجور حتى حلول المساء . قام وأخذ يتلفت حوله ، ولما اطمأن جرى إلى الناحية الأخرى ، وجد حجرة على البوابة الرئيسية معرشة بصفائح الصاج ومبنية بالحجر ، وكان هناك سرير من الحجر أيضًا فوقه بطانية قديمة ، فى مواجهة السرير شباك صغير يطل على الطريق ، جلس وتسمرت عيناه على الطريق من خلال الشباك ، اختبأ عدة مرات عند سماعه أقدامًا على الطريق . مرّ الوقت بطيئًا قبل أن يحل الظلام، تسحب خارجًا ومشى خلال المبانى المتهدمة فى المعسكر حتى وصل نهايته ، الآن عليه عبور الطريق الرئيسى ، سوف يصبح مكشوفًا أمام عيونهم ، خاصة وهو الوحيد الذى يمر على الطريق الآن . وقف وتلفت حوله فلمحها ، عربة كارو لا يعرف من أين جاءت ، كانت محملة ببراميل مياه ضخمة ، مرت أمامه فلم يتردد ، قفز فوق العربة فى سيرها فانتهت من الطريق الرئيسى واجتازت بوابة الشرطة دون أن ينتبه لوجوده أحد ، كان قلبه يرجف من احتمال تفتيشها ، لكنها مرت بسلام حتى ابتعدت بمسافة كبيرة فقفز منها ، وقف على الطريق السريع وأخذ يشير للعربات ، توقفت إحداها فركبها ، أشعل سيجارة ونفث دخانها ببطء ، أخرج الورقة المدون عليها تليفون الرائد وتسلى بقراءة الأرقام ، عليه الاتصال به فور وصوله ليعرف منه ما الذى يفعله بعد ذلك ، وضعها فى جيبه مرة أخرى وأغمض عينيه وراح فى النوم ، لم ينتبه إلا حين وصلت العربة ميدان رمسيس .

(6)

وضع سماعة التليفون وأخرج من جيبه خمسين قرشًا أعطاها لصاحب المكتبة ثمنًا للمكالمة ، لم تستغرق دقيقتين ، قال له : أنا يا فندم . فطلب منه الحضور فورًا ، وصف له العنوان بدقة ، فى الطريق إليه فكر فيما يمكن أن يطلبه منه ، كانت شقته تقع فى الدور السادس ، العمارة ضخمة تطل على النيل مباشرة ضغط الجرس ففتح له ، كان يرتدى بيجامة مقلمة ويضع فى فمه سيجارة ، مد يده وسحبه إلى الداخل ، أجلسه فى الصالة وجلس أمامه واضعًا ساقًا فوق أخرى ، تحدث ببساطة ولم تكن له رهبة الكتيبة ، قال : أنت تعرف أنهم جاءوا وسألوا عنك بعد خروجك من مكتبى ، وقلت لهم ليس عندى جندى بهذا الاسم ، أنا خدمتك خدمة عمرك . جاءت فتاة بصينية شاى وضعتها أمامهما ووقفت ، أشار إليها : المدام . هب واقفًا ومد يده سلم عليها ، كانت جميلة ، شقراء مثل زوجها ، لكن فارق السن بينهما بدا كبيرًا ، أعطاها عمرًا لا يزيد عن العشرين ، لفت نظره ، وهى تغادر، بنطلون الإسترتش المحبوك على ردفيها وساقيها الممتلئين . تركه ودخل إحدى الحجرات ، وركز هو فى احتساء كوب الشاى وتأمل الشقة ، كانت كبيرة ، لمسات الجمال واضحة فى أركانها ، ثلاثة أطقم أنتريه وضعت فى (الريسيبشن) ، حوض أسماك كبير وضع على «أرج» ، بعض أصص الزهور ونباتات الزينة وزعت فى الأركان مع إضاءة منبعثة من أباجورات صغيرة الحجم . عاد حاملاً عدة أوراق فردها على الترابيزة أمامه: شوف يا سيدى ، هذه التصميمات لعدة موديلات من البلوفرات ، أريدك أن تنسخها، تعرف أومأ بالإيجاب فأكمل : عندى مصنع بلوفرات

صغير ، وأريدك أن توزع لى على قد ما تعرف . ثم تركه وغاب مرة أخرى، وعاد حاملاً عدة بلوفرات موضوعة فى أكياسها ، هذه دستة ، وزعها وأحضر باكرًا بالنقود ، فاهم ؟ فى طريقه إلى بيته فكر : هذا هو الثمن إذن ، لا بأس، لن يعدم وسيلة فى بيعها ، سوف يعرضها على أصدقائه بنفس ثمنها، ويعرض بعضها على حماته فهى صاحبة بوتيك ملابس . ابتسم وتنهد ، فقد أفلت من حياة الكتيبة والسجن وسخافات الجيش ، أما التصميمات ، فسوف يعطيها لأحد أصدقائه ممن يهوون الرسم، وإلى أن تحين إجراءات المحاكمة سوف يكون بائع بلوفرات فى مصنع يملكه ضابط فى القوات المسلحة له زوجة جميلة ، انحصرت علاقته بالجيش فى قائد كتيبة ، وكانت مقابلاتهما تتم بانتظام فى منزله ، يذهب إليه يوميًا بالنقود التى باع بها البلوفرات ، ويعود بأخرى جديدة . فى أحد المرات قال له : سيرحل اللواء كله لعمل مشروع ضرب نار ابتداء من غد ، وأنا سويت حالتك لتكون هنا ، ولكن عليك بالحضور كل يوم ، وستعطيك المدام البلوفرات وتسلمها النقود .. مفهوم ؟

فى اليوم التالى كان واقفًا يطرق الباب ، وكانت هى التى فتحت له ، بدت فاتنة بجسد أبيض يشع ضوءاً تحت روب حريرى أسود محبوك ، قالت : تفضل . لكنه لم يتزحزح وصعد الدم إلى وجهه فارتبك ، تأملته لحظات قبل أن تغيب ثم تعود بالبلوفرات ، قال لها : غدًا أحضر لسيادتك النقود . شيَّعته بنظراتها حتى غاب فى لفات السلم . فى طريقه إلى منزله ، فكر فيها ، واستدعى فى نفس اللحظة أخرى تشبهها كثيرًا ، وظلت المقارنة منعقدة بينهما حتى انتصر لعفاف ، الأكثر أنوثة وتوهجًا ، لكن جمالها كان

وحشيًا بلا رتوش ، أما رغبتها ، فكانت مستعرة دومًا ، تعرف عليها عند أبيها ، كان جاره ، يذهب إليه ليلعبا الطاولة ويتبادلان الحديث ، رجل عجوز وحيد ، تزوج ثلاث مرات وأنجب قبيلة ، كانت عفاف ابنته الصغرى من زوجته الأخيرة ، كل نسائه تركنه وسافرن إلى الخليج ليعملن خادمات، حتى عفاف طلقها زوجها وسافر للعمل فى العراق فبقيت مع أبيها تؤنس وحدته ، كان كلما ذهب إلى أبيها ، وجدها تنظر إليه من فوق السرير الوحيد فى الحجرة ، كان جسدها الممدد جميلاً وأسطوريًا ، واعترف لنفسه فيما بعد أنه لم ير أنفًا أو ذقنًا بمثل هذه الدقة وهذا الجمال ، سرعان ما أخذت منه موعدًا فى غفلة من أبيها ، وتقابلا عدة مرات بالخارج ، ورأى فى عينيها عطشًا لا يرتوى للحب ، اتفقت معه على اللقاء فى الحجرة بعد خروج أبيها للعمل ، لن تغلق الباب وراءه ، بل تتركه مفتوحًا ، فى السابعة والنصف صباحًا كان يدفع الباب برفق ، دخل وأغلقه وراءه بالترباس ، ولابد أنها نامت ، فقد وجدها مغلقة العينين وممدة بكامل أنوثتها ، عارية إلا من سوتيان وكُلُتّ أسودين ، فتألقا على جسدها الأبيض المحمر ، صعد بجانبها وبدأ مداعبتها ، ففتحت عينيها ببطء كمن لم يفاجأ بما يحدث ، بل تمطت وتثاءبت بإغراء ، ثم احتوته بين ذراعيها وسرعان ما اعتصرته فى بدنها الملهوف . ظلا يمارسان لعبتهما حتى أحس بالإنهاك ، أما هى ، فقد كان جسدها يتلوى تحته ويشهق بالرغبة ، وهو يتلون ويتشكل بألوان الطيف ، ولم تتركه إلا حين وثقت من عودته غدًا فى نفس الموعد ، وبالفعل كان على باب حجرتها صباحًا ، هذه المرة وجدها عارية تمامًا ، ولم تكن نائمة أخرجت منابع اللذة من مسام جسده ، أرشدته إلى مكامنها هى

أيضًا ، فطنَّ صوت رغبتها فى أذنيه عاليًا ، فظن أن الدنيا كلها سمعتها ، ظل على علاقة بعفاف فترة طويلة حتى جاء اليوم الذى فاتحته فى أمر الزواج ، فجبن وخاف ، ممن كان خوفه ؟ ولم تره بعدها أبدًا .

حين ذهب إلى بيت الرائد حسب الموعد ، فتحت له زوجته ودعته للدخول ، قالت قبل أن يجلس : أنا باعمل شاى ، تشرب معى . أومأ موافقًا ، وأخذ يتابع أسفل ظهرها ببروزاته وتموجاته الرجراجة ، كانت ترتدى «جيب» قصيرًا أسود على بلوزة بيضاء مفتوحة عند الصدر ، وشعرها الأشقر انساب ناعمًا فوق ظهرها وصدرها . أحضرت صينية الشاى وانحنت تضعها أمامه فشاهد جزءًا من صدرها متكورًا أمامه ، هل كانت تتابع نظرات عينيه فى تلك اللحظة ؟ نظرت إليه وعلى شفتيها وضعت ابتسامة مبهمة ، جلست فى مواجهته وأخذت تصب الشاى : محمد قال لى إنك متزوج .. صحيح ؟ هز رأسه موافقًا ، فتابعت : من منكما الأصغر ؟ هى .. عندها ثمانى عشرة سنة وأكبُرُها بست سنوات . أنا أيضًا عمرى مثلها ، لكن محمد يكبرنى بكثير .

عندى سؤال وتجاوبنى بصراحة - قالت ووضعت كوب الشاى أمامه ، وترددت قبل أن تقول : واحدة صاحبتى تقول : إن الرجال الطوال لهم .. أقصد يعنى أعضاؤهم هى أيضًا طويلة جدًا . انشغلت بتقليب كوب الشاى الموضوع أمامها ، وشعر بها تنظر إليه من تحت لتحت ، كان السؤال مفاجئًا فارتبك ، وشعر بالدم يصعد إلى وجهه ، وأخرج من جيبه نقودًا وضعها أمامها ، ومرت لحظات لم يعرف كيف يتصرف ، وبتلقائية وقف وقال بتلعثم : سيادتك تأمرينى بأى شىء ؟

وأحست بارتباكه فوقفت هى أيضًا وضحكت : والشاى ؟ قال وهو يخطو ناحية الباب بلهوجة ، مرّة أخرى ، وكاد يخرج حين سمع صوتها : اسمع ، البلوفرات لم تجهز ، عد غدًا الساعة الثامنة مساء . طوال الطريق ظل سؤالها يدور فى ذهنه ، كان يبحث عن معنى لما قالته ، امرأة جميلة تعيش حياة مترفة ، ولها زوج وسيم له وظيفة محترمة ، يملك سلطة ما ، تترك كل ذلك وتنظر إليه هو الفقير المعدم ، إن زوجها بكلمة منه يستطيع وضعه فى السجن ، ما الذى يملكه ولا يملكه زوجها ، وهل تحاول إغواءه بذلك السؤال ؟ أسئلة كثيرة طرحها على نفسه ، لقد تصنع عدم الفهم والخجل حتى لا يقع فريسة سهلة ، وما أدراه أنها وزوجها ينصبان له فخًا حتى يطمئنا لدخوله وخروجه ، لكنه أيضًا شعر بالزهو ، وازدادت ثقته بنفسه ، فإن له جسدًا رائعًا تشتهيه كل النساء ، ألم تتغزل فيه عفاف ، وهما على الفراش ، قالت له : تملك جسدًا مثل مانيكان ، وذلك الطول الفارع ، ولك عينان سودوان واسعتان بأهداب وحواجب لا تملكها أجمل امرأة ، من لحظتها وهو يتعهد جسده بالاهتمام الواجب نحوه ، كان يتغذى جيدًا ، وينام جيدًا ويمارس بعض الرياضة ، شعره الأسود الناعم كان يسرحه ويفرقه عند منتصفه فيبدو وسيمًا بغمازتيه اللتان لا تظهران إلا عندما يضحك ، قال لنفسه يطمئنها : لا تتعجل الأمور يا فتى ، ودع المسائل تجرى فى أعنتها ، فمن يعرف ؟

فى المساء ومع اقتراب الموعد ، أخذ دُشًا ساخنًا بعد أن حلق ذقنه ووقف أمام المرآة يتأمل جسده عاريًا من خلف وأمام ، وأخذ يتحسسه برفق فسرت قشعريرة لذة فى بدنه ، وأخذ عضوه ينبض مثل سمكة خرجت لتوها من

الماء ، كان مستثاراً ، وظل طوال الليل يحلم بهذا اللقاء ، تخيلها على فراشه عارية تتلوى فى أوضاع مختلفة حتى الصباح ، وتخيل لقاءهما الخطوة الأولى هل تكون منه ؟ أم يدعها تبدأ هى ؟ تلمح فترمى الكرة فى ملعبه ، أم أنها بجرأتها تقوده مباشرة إلى الفراش ، كان على يقين مما سوف يحدث .

كانت الساعة تعلن الثامنة تمامًا حين دق جرس الباب ، بعد لحظات ، فتحت له ودعته للدخول ، كانت ترتدى روبًا حريريًا أحمر ، أحبكته على جسدها فلف قوامها وأظهر رشاقته ، ودهمته رائحة ياسمين مسكرة ، خطت برشاقة أمامه تقوده إلى الأنتريه ، فرأى ردفيها يرقصان طربًا . جلس وجلست أمامه واضعة ساقًا فوق أخرى فانفلتت من طرف الروب بيضاء ناصعة ممتلئة وملفوفة . قالت : تشرب إيه . أفلت طرف الروب فجأة فاندلق صدرها منتصبًا أمامه ، حبكته مرة أخرى وهبت واقفة ، اقتربت منه ونظرت إلى بنطلونه ، كان منتفخًا ومقبقبًا فانفجرت شفتاها القرمزيتان عن ابتسامة إغواء ، قالت : تعالى شوف مصنعنا الصغير ، سحبته من يده إلى الداخل ، كانت أصابعها طرية دافئة ، استكانت فى كفه الكبيرة ، وبحركة بدت عفوية لمست عضوه فرأته صلبًا قويًا ، وسمع شهقة خافتة صدرت منها ، أرته حجرة صنع البلوفرات ثم أخذته من يده فانساق وراءها مستسلمًا ، اتجهت به إلى حجرة نومها ، أوقفته على حافة السرير والتصقت به ، همست : أنا النهاردة هافترسك . كان هو مستسلمًا لها ومنومًا ، ووقفت أمامه عارية ، وعلا صوتها فى استثارة كاملة وأخذت تخمش ظهره بأظافرها فاندفع إليها بكل رجولته ، وشهقت شهقتها الأخيرة قبل أن ترتمى على صدره وتدفن رأسها فى إبطه .

أفاقت بعد ربع ساعة فرفعت رأسها وقبلته ، ودفنت رأسها مرة أخرى في صدره ، وهمست : يبدو أن كلام صديقتي عن الطوال صحيح ، ضحكت وأردفت : الواحد ده للتجربة ما يتحسبش ، وأخذت تدغدغ صدره وعنقه بشفتيها ، وأخذا يتمرغان على الفراش حتى فرغا ، وبدت هادئة بجمالها الأرستقراطي بعد أن ارتوت . قالت : تعرف أن دي المرة الأولى من خمس سنوات . ألجمته المفاجأة فأكملت : نعم ، محمد مالوش، وهو يعالج حتى الآن بلا فائدة .

قامت وأخذته من يده ، ووقفا تحت الماء الساخن سويًا ، ذكرته بأمه وهي تدعك جسده وتدلكه ، ثم رشت عليه من عطر زوجها ، وهي تلبسه ملابسه وهمست له : اذهب الآن وتعالى غدًا ، فلن أتركك حتى أشبع منك.

لم يرغب في الذهاب للمنزل ، وخطر بباله أن يجلس على الكورنيش قليلاً ، كانت أضواء النيون المنبعثة من الفنادق والعوامات تتلألأ في مياه النيل ، وهبت نسمة هواء طرية أنعشته ، كان ذهنه صافيًا فسرح في ماء النيل المنساب برقة ، وتعجب لتلك السكينة التي تجتاحه الآن ، تلك الحياة التي تاق إليها ، حياة الناس الذين لاينتمون إليه ، الناس التي تعيش في أضواء الليل الملونة والنسمات الطرية المنعشة والسهرات الحمراء المعطرة ، حياة تختلف عن حياة ناسه في الأحياء الشعبية ، كان يعرف أن القاهرة تحيا حياتين ، واحدة بالنهار ، وتلك قاهرة العرقانين الذين يجرون صباحًا على أرزاقهم ، قاهرة الازدحام وعادم السيارات والأتربة والغبار والعرق وصهد الشمس ، تلك قاهرة قاهرة ، أما القاهرة الأخرى ، قاهرة المعز ، فهي أضواء النيون الملونة والأنفاس المعطرة وعربات المرسيدس ونساء يتحممن

بالشمبانيا واللبن الحليب ويتمرغن فوق صدور الرجال ، قاهرة رجال المال والأعمال والعوامات والشقق المفروشة وهمسات المومسات على أجساد عرب الخليج وأقدام الراقصات فى شارع الهرم وعماد الدين وجامعة الدول العربية المغطاة بأوراق البنكنوت والبارفانات الباريسية ، إلى أيهما ينتمى الآن ؟ إلى نساء ملوثات بمنى عشاقهن ؟ أم إلى نساء ينتظرن أزواجهن وهم يحملون طعام العشاء، دائمًا ما كان يقول لنفسه عند عبوره من حيِّه الشعبى العشوائى إلى الخارج والعكس أنه عبور بين حضارتين،حضارة تنتمى إلى الليل ، هو يعشق الليل ، الليل هو الشعر والموسيقى ورجال متخمون وعربات فارهة ، وفنادق تسهر حتى الصباح تراق فيها زجاجات الشمبانيا والويسكى ونساء جميلات عاريات ، وجوههن تضج بالشهوة يتحممن بمنى عشاقهن وهمسات عاشقة وتأوهات الشبق على فرش ناعمة سابحة فى إضاءة خافتة ، الليل فى حيِّه الشعبى هو الفضيحة الكاملة ، هو عرى من لا يجد ما يستره ، والنائم على لحم بطنه ، والارتماء على البلاط استسلامًا للنوم بعد يوم عمل شاق ، هو رائحة العرق والأحنكة الجائعة والبحث عن مأوى ، بينما الصباح هو الجحيم بعينه ، أشعل سيجارة وأخذ نفسًا عميقًا نفثه ببطء ، ما هى خطوته القادمة ، تلك المرأة جرته فى علاقة لا يعرف مداها ، إنها قنبلة موقوتة من الشهوة لا ترتوى . ما مصيره إذا عرف زوجها ؟ وكمن يشاهد فيلمًا سينمائيًا يشارك فى تأليفه أخذ ذهنه يعمل بشكل عجيب ، أخذ يتخيل بعض السيناريوهات لما يمكن أن يحدث إذا اكتشف زوجها علاقتهما ، وشعر بلذة وهو يتأمل تلك المشاهد :

المشهد الأول : يفتح الباب بالمفتاح ، ويدخل عليهما حجرة النوم فجأة ، يقف على رأسيهما ويراهما عاريين ، يتابع ببصره مؤخرته صاعدة هابطة فى عرى زوجته ، يخرج مسدسه ويفرغه فى جسديهما فيموتا .

المشهد الثانى : يخبره البواب بحضوره كل ليلة ومبيته حتى الصباح ، يطرق الباب فتفتح له زوجته بالروب على اللحم ، يتجه إلى حجرة النوم ويبحث عنه ، يجده تحت السرير عاريًا ، يخرجه ويسلمه إلى قسم الشرطة عاريًا كما ولدته أمه .

مشهد ثالث : يقطع أجازته فجأة فيرجع رجوعًا مفاجئًا إلى المنزل ، يخرج المفتاح ، يبحث عن زوجته فلا يجدها ، لكنه يسمع صوتًا آتيًا من حجرة النوم ، يتجه إليها على أطراف أصابعه ، يدفع الباب فجأة فيجد زوجته عارية فى حضنه ، يقف مندهشًا ومحملقًا فيهما ، ينتبهان له فيجريان إليه يكتفانه ونيهالا عليه ضربًا حتى يلفظ أنفاسه ، يحملان أشياءهما ويغادران البلد إلى أوروبا حيث يتزوجان ويقيما سويًا إلى الأبد .

مشهد أخير : يقوم باستدعائه فجأة إلى الكتيبة، يوقفه أمامه ، يزعق فيه:

أنت متصور أننى لا أعرف ما تفعله ؟ سوف ترى الآن عقابى ، يأخذه من يده إلى السجن ، يوصى عليه الجنود والحراس والمساجين بضربه ليل نهار ، يذيقه من العذاب ألوانًا ، يقرر الانتقام منه فور خروجه من السجن ، تنتهى مدة عقوبته ويخرج ، يترصده حتى تحين له الفرصة ، سوف يخطفه ويعلقه من قدميه ويمارس الجنس مع زوجته أمامه ، يسجد له يستعطفه ويرجوه أن يتركه ، ولن يتركه قبل أن يطلقها ويتزوجها .

وصل إلى بيته فوجد زوجته فى انتظـاره ، خاف أن تحس بعملته فافتعل مواضيع مختلفة ، حدثها عن متاعبه مع الرائد ، وأنه يتعمد إتعابه ، يطلب منه المزيد من العـمل ، قـال إنه طلب منه التـأخر كـل يوم فى منزله ، وأنهم يعملون هو وآخـرون حتى وقت متأخـر ، وقد يتطلب الأمر المبيت يومًا أو يومين لمضاعفة الطريحة ، خاصة وأن زوجة الرائد عند أمها وتركته بمفرده . أخذت تحثه على عدم الزهق ، وأن يسمع كلام الرائد حتى ينتهى وتنزاح الغ مة . كـان يخاف من فراسة زوجتـه ، حدثته يومًا عن جلسـة جلسها فى بيت أحد أصدقـائه ، وصفت له الشقة بما فيهـا ومن فيها وكأنها تعـرفها أو كانت معهم ، ولـم يكن ذلك إلا حلمًا رأته فى نومهـا ، لقد صدقها ورهبها ففراسة المحب الصادق لا تخيب ، هكذا قرأ فى «طوق الحمامة» .

(7)

جلس على مقهى قريبًا من بيت الرائد وطلب شايًا ، أخذ يتأمل الوجوه من حوله كعادته كلما جلس في مكان لأول مرة ، كان قد اتصل بها حسب الموعد ، فقالت تعـالى بعد ساعة ، لم تشأ محادثتـه فى التليفون ، بل أنهت المكالمة سريعًـا . قال لنفسه هل يكون الرائد قـد حضر ، لقد شعـر بتوتر فى نبـرات صـوتهـا ، تلهى بشـرب الشاى ولايـدرى لماذا نظر خلفـه فى تلك اللحظة ، رأى شخـصًا جالسًا يتصـفح الجرائد يرتدى بذلة وكاسكيتة فوق رأسه ، وتذكر أنه رأى هذا الوجه قبل الآن . وابتـسم ، إنه مخرج شهير رآه كثيرًا فى التليفزيون ، مازال فيلمه الأخير يعرض فى دور السينما . نظر إليه مرة أخـرى فانتـبه له وأحنى رأسـه وابتسم . وبحـركة بدت طبـيعـية طوى

الجرائد وانتقل إلى جواره . مد يده فسلم عليه : على الدبيكى . طبعًا يافندم، المخرج الكبير ، رأيت حضرتك فى التليفزيون ، كذلك شاهدت ثلاثة أفلام من إخراجك . هز المخرج رأسه وبدت على وجهه علامات دهشة : كدة .. تعرف إن وشك شدنى ، كمخرج طبعًا ، فوتوجنيك خالص ويسرق الكاميرا ، مافكرتش تمثل ؟ عراه الخجل وهو ينظر إليه يكاد يأكله بعينيه . لا فى الحقيقة لم أفكر . دا انت وسيم خالص ، طول بعرض ما شاء الله ، شفت فيلمى الجديد . هز رأسه نفيًا فأكمل أنا عندى نسخة الماستر إذا تحب تشوفها بكرة فى نفس المكان ، والبيت قريب من هنا . نظر إلى ساعته فوجد الوقت حان ، استأذن وانصرف مؤكدًا على الموعد .

فتحت له الباب ولاحقته بقبلة طويلة ، وقادته إلى حجرة النوم ، قالت وهى تجلس أمام المرآة تضع بعض البارفان ، بعد أن خلعت الروب : آسفة يا روحى ، كانت أخت محمد عندى لما طلبتنى ، طلت شفتيها بروج بنفسجى مثل لون القميص الذى ترتديه ، ولما انتهت اقتربت منه وطبعت قبلة فوق رقبته ثم تركته وأشعلت له سيجارة ، ولها ، وضعتها فى فمه طوقها بذراعه وأخذ يفرك حلمتها النافرة تحت القميص . قال : انتظرت على مقهى قريب من هنا ، تعرفى قابلت من ! المخرج على الدبيكى . قالت: جارنا ! عمارته جنب عمارتنا . ابتسم : وعرض على العمل فى السينما وقال : إن وجهى فوتوجنيك . ردت باسمة : طبعًا يا حبيبى وشك فوتوجو . وضحكت بدلال : والمقطع الأخير اتركه لى ضمته إلى صدرها وضغطته . وهمست : تعرف ، وأنا جنبك ، بأحس أن الدنيا دى كلها ملكى ، وساعات أتمنى أن محمد يختفى من الوجود ونفضل أنا وأنت

وبس. لكن ساعـات تانية أحس نحـوه بالإشفاق والعطـف ، فالذنب ليس ذنبه . أرادت تغـيير الحديث فـقالت بتمثيل : ما رأيك يا سيدى ، عـبدتك وجـاريتك غـادة تعـزمك على قـضـاء يومـين فى الإسكندرية ؟ اعـتـدلت وتصنعت الجد : بص يا سيدى ، محمد مـش هاييجى قبل أسبوع ، والشقة بتاعـتنا هناك فاضيـة ، تيجى نعملهـا والنبى . أخذت تقـبله بدلال ، نفسى تبات معـايا طوال الليل وماتسبنيش . أدهشـتها موافـقته السريعة حـتى إنها ار ىت فوقه من شدة فرحها ، وبدت كطفلة فى أشد حالات المرح . قالت : من بكرة قال : أن لديه موعـداً مع المخرج غداً فى مسائل شخصـية ، وغمز بعينيـه ، خليها بعد بكرة . مـوافقة يا سيـدى ، ثم همست فى أذنه يلْلا بقى عازوة أشبع منك .

كان موعده مع المخرج فى العاشرة مساء، لكنه وصل بعد الموعد بنصف ساعة ، ولدهشته ، فقد وجده فى انتظاره ، هب واقفًا فور رؤيته وسلم عليه بحرارة ، اعـتذر له عن التـأخير ، فـقال له : ولايهمك ، المـهم إنك جيت ، تحب ترتاح شويـة ولا نمشى ؟ أخذه من يده وسارا كـصديقين قـديمين حتى دلفا إلى عمارة ، صعـدا للدور الرابع حيث شقته . كانت حقّـا شقة مخرج فنان ، فـفى كل ركـن فـيـهـا لمسـة فن ، قـاده إلى أنتـريـه وضع فى وسطه تليفـزيون وفيـديو على ترابيزة مـعدنيـة : تحب تشرب إيه ؟ بص يا حـبيب قلبـى ، أنا حـبيـتـك من أول نظرة ، عندى ويـسكى سكوتـش وبراندى وحـشيش . هز كـتفـيه : أى حـاجة . تـركه ودخل المطبخ أحـضر كـأسين وزجاجة ويسكى وقطعة حشيش أخرجـها من ورقة السلوفان وأخذ يمرسها بأصابعـه حتى لانت ، وضعهـا فى سجائر وأشعلهـا ، كان سعيـداً فهتف :

بص بقى ، ليسقط فيلمى الجديد ، أنا عندى فيلم لازم أرجعه بكرة ، ماتقولش لعدوك. ضغط أزرار الريموت فظهرت الصورة لفتاة عارية ، علق على الدبيكى : هو دا الإخراج ولا بلاش ، مضت نصف ساعة شاهد خلالها عدة أفلام قصيرة ، وشعر بدوار من تأثير الحشيش والويسكى ، أحس به ، فقال : إيه .. مالك ، عملت دماغ . ضحك بلا معنى وهز رأسه: تسمحلى أحط راسى على حجرك ، أنا دايخ زيك . انتبه للحظة أن شيئًا يحدث ، وفى اللحظة التالية كان المخرج يشوده إلى حجرة نومه ، ولدهشته فقد أطاعه وسار وراءه منتصبًا ومهتاجًا .

(8)

فى الصباح الباكر كان واقفًا داخل محطة القطارات تحت الساعة ، ولم يطل انتظاره ، فقد لمحها قادمة برشاقة وقد ارتدت قميصًا وبنطلونًا أظهرا رشاقتها وجمالها ، حمل عنها حقيبتها وسارا فى اتجاه قطار الإسكندرية ، كانت تضع على عينيها نظارة سوداء أضفت جمالاً على بشرة وجهها البيضاء ، وتذكر «نادية لطفى» فى فيلم النظارة السوداء فابتسم ، جلست ملتصقة به وأخذت كفه فى كفها ، فأحس دفئها ، قال : ماذا أحضرت فى الشنطة ؟ قالت بدلال : لم أحضر شيئًا ، فقط ملابس داخلية وشوية قمصان نوم ، أصل نويت أجننك ، ومالت عليه وهمست : وهاجننك . لست فى حاجة لقمصان نوم حتى أُجن ، ثم إنك ترتدينها كى أقوم بخلعها لك ، فما الداعى لارتدائها إذن . ضحكا ، وكانت تنظر إليه بافتتان وامتزج عرق يده بيدها ، واستلقت برأسها على كتفه وأغمضت عينيها ، وأحس

أنفاسـها حارة ومـعطرة تلفح وجهه ، أشـعل سيجـارة وأخذ يرقب الطريق خلف الزجـاج الـشفـاف ، إلى أى شىء يؤدى هذا الانسـيـاق وراء تلك المرأة؟ يترك زوجـته ويسـافر فى طريق لا يعـرف نهايتـها ، ومـاذا لو عرف زوجها ، فإن مصيره معلق بيديه ، هز رأسه بعصبيـة ، كأنه يؤكد لنفسه أنه مسيـر فى هذا الطريـق ، لو لم يخـضع لرغبـتهـا فمن يدرى مـاذا كـانت ستفعل، كـانت ستنفجر فى وجهه وتحطم مسـتقبله ، يكفى أن تلفق له عند زوجها فـيجره إلى السجن ، أمـا الآن ، فإن قدرته على إشبـاع تلك الرغبة الجامحة تجعلها طيِّعة بين يديه ، تتمنى له الرضى يرضي ، رغم فارق الوسط الاجتمـاعى الذى يعيشه كل منهمـا ، فى بعض الأحيان يشعر بضـآلة نفسه أمام استسلامه لها ، لإشبـاع رغبتها التى لا ترتوى ، قالت له ذات مرة وهى بين ذراعيـه إنها تريد أن تشربه ، وكانت كـذلك بالفعل ، فهى تمتـصه قطرة قطرة وببطء ، والآخر الذى قابـله بالأمس ، لقد امتصه هو الآخـر ، استغل انبهاره به ، وبعالم السينما ، وربما سذاجته أيضًا ، وقاده إلى الفراش ، رغم أنه أبعد ما يكون عن الشذوذ ، لكن يكفى السـقوط مرة واحدة ، الانحراف من أعلى ببطء شديد والاستمرار فى السقوط ، الاقتراب من الأرض سوف يأخذ وقتًا لكنه حتمى .

ظلت نائمـة حـتى توقف القطار فى مـحرم بك ، أيقـظها ونزلا وأخـذا عربة إلى المعـمورة ، كانت الشقـة لها مدخل خـاص على البحر مبـاشرة ، تركها ونزل يشترى طعامًا لهما ، عند رجوعه ، فتحت له فتسمر فى مكانه ، كانت خـارجة من الحمـام ترتدى غلالة حمـراء شفافة وقـصيرة ، شـعرها المبلول منكوش والماء يقطر منه ، أمسك خصرها وضـمها إليه همست له :

هاتتبل لكنه التصق بها أكثر وطرحها على أرض الصالة .

قالت : مش قلت لك هاجننك ، بس انت تسرعت ، دانا كنت عملا[illegible] سيناريو يجنن أسند رأسه إلى كرسى فوتيـه وأشعل سيجارة ، وأخذ يتنفس ببطء ، وغمزت له : جسمك كله اتبل ، هتاخد برد كده . مد يده ودسها فى فخذيها وضـ[illegible] : كله يهون عشانك . قامت تسـوى نفسها فأخذ يتابعها ، تلك المرأة شحنة متفجرة من ديناميت الرغبة تشتعل ذاتيًا فى أى وقت ، ربما كانت الآن فى نظره أجمل امرأة فى الدنيا ، أجمل حـتى من عفاف ، تبعها إلى الداخل ، وجلس على حافة السرير بينما كانت تسرح شعرها . اسمعى يا غادة ، إيه رأيك أسيب مراتى وتسيبى الرائد محمد ونتجوز ، ممكن نعيش فى أى بلد عربى . حـدثته من خلال المـرآة : أد كده بتحـبنى قامت وخطت نحوه ودفـعته بيدهـا فى صدره فوقع فوق السـرير ووقعت فوقـه وهمست وشفتاها تدغدغان عنقه : وأنا مخلياك عايز حاجة يا حبيبى ، أنا ملكك أهو اعمـل اللى انت عايزه . ثم إن الوضع كـده أحسن ؛ مـحمـد يدفع ، وانت جوزى وحـبيبى ، وحتى لو عرف فلن يطلقنى ، مـحمد يحتـاجنى بجانبه ، ديكور فى بيتـه وأمـام أصدقـائه ، بس أنا خـايفـة لما تخلص مـوضـوعك ماشـوفكش . لف ذراعه حولهـا وعصرها فـى جسده : دا أنا بقـيت مدمن غادة . همست : يا حبيب قلب غادة .

بعد عودتهما ، وجد المخرج على الدبيكى قد اتصل به وترك له رسالة ، أعطاه موعدًا فى وسط البلد فى فندق شهير فذهب إليه ، وجده فى انتظاره، رحب به بلهـفـة وقـال له : وحـشـتنى ، انت سـافـرت ولا إيه ، طب مش تقـوللى . حدثه عن لـيلتهـما ، وأنـها كـانت رائعة ، نـظر إليه : أتمنى أنهـا

تتكرر. أحس بالغثيان من حديثه وأراد أن ينهيه فقال : اسمع أنا لا أنتمى لعالمك ، ولست شاذًا ، بل أحب النساء ولا أستطيع تكرار ما حدث . انفعل المخرج وظهر الغضب بين عينيه : يا حبيبى أنا فنان ، والفنانين لهم عالمهم الخاص ، ولهم نزواتهم ، ودى ضريبة النجاح . حدثه عن مخرج كبير آخر يفعل نفس ما يفعله ، وعن كاتب سيناريو شهير ، ومذيع لامع ، وكثيرين فى الوسط الفنى والأدبى ولا أحد يدينهم ، ثم هل رأيت الفيلم الأخير للمخرج إياه ؟ إنه تاريخ لعلاقاته الجنسية مع الشباب . كان يوغل فى صمته ، بينما الآخر يحاول إقناعه ، وشعر بالملل فاستأذن وانصرف على وعد بلقاء آخر ، كان يعلم أن هذا آخر لقاء معه ، وأن عليه تجنب الأماكن التى يتواجد بها .

اتفقت غادة معه على أن تدفع هى ثمن البلوفرات التى يأخذها منها ، قالت له لا تتعب نفسك ، خذها واركنها عندك ولا تشغل بالك ، وسوف أقول لمحمد : إننى آخذ منك ثمنها . كانت تعطيه ما يحتاجه من نقود ، فى بادئ الأمر رفض ، وكانت هى تلح عليه ، اشترت له ملابس على ذوقها الخاص وتصر أن يرتديها أمامها ، تقول له : أريدك أنيقًا دائمًا . فى إحدى المرات أهدته سلسلة ذهبية فأعطاها زوجته وأخبرها أنه اشتراها خصيصًا لها ، أراد إرضاء زوجته بأية طريقة ، إحساسه بالذنب أنه مع الأخرى دائمًا جعله يتلمس رضاءها ، أما غادة ، فما كانت تتركه لنفسه لحظة ، تشرب رحيقه طوال الوقت بلا ملل ودون ارتواء ، وشعر بأنه غير طبيعى من تلك الرعشة التى بدأت تصيب أصابعه وذلك الألم فى مفاصله . ذكره ذلك بزمن مضى ، فهو يعرف تلك الحالة ، كان وقتها فى الإعدادية ، وكان

الوقت صيفًا ، وشقتهما الصغيرة تفح نارًا فيطلع إلى السطوح يذاكر حتى الصباح ، فى الجهة الأخرى من السطح سكنت حديثًا امرأة تدعى خيرية كان زوجها صولاً فى الجيش ولاعب كمال أجسام يدعى : شوقى . كان شوقى طويلاً عريضًا بارز الصدر والعضلات ، أما هى فكانت شابة صغيرة جميلة ولها أرداف بارزة مستديرة ، كان زوجها يمكث فى الجيش خمسة عشر يومًا ، ومثلها فى البيت ، رأته سهران يذاكر أمام باب شقتها، قالت له: ممكن أطلب منك طلب ، تصحينى الساعة خمسة الصبح . فى الخامسة صباحًا كان يدق بابها ، كرر الدق عدّة مرات ، ولما لم ترد دفع الباب بيده فانفتح ، ورآها نائمة فى الصالة على مرتبة إسفنج ، عارية إلا من كُلُتّ ، باقى جسدها كان مكشوفًا أمامه منتصبًا ورائعًا ، ورأى شعر إبطيها وعانتها أسود ناعمًا ، تصبب عرقه وشعر بدغدغة بين فخذيه ولم يدر ماذا يفعل ، رجع إلى الباب ثانية وأخذ يدق عليه بقبضته ، تململت وقامت نصف قومة وأمرته بالدخول ، رفض فألحت عليه ورفض ، قامت وفتحت الباب قلت لك ادخل متخافش مش هاكلك . رأته يتطلع إلى صدرها العارى فضحكت : مكسوف ، طب استنى . دخلت ارتدت روبًا وعادت إليه مرة أخرى ، خطا داخل الشقة وأحس بقلبه يرجف ، بينما توتر ما بين فخذيه ازداد . أنا سايبة الباب مفتوح على حسك وعلشان تدخل تصحينى ، أصل شوقى فى الجيش ، تلاقيك يا حبة عينى تعبت من المذاكرة والسهر ، كان صامتًا يحتضن كتابه فوق صدره ، سحبته من يده إلى حجرة النوم : بص بقى عاوزاك تفرد ضهرك وتريح شوية ، مافيش حد هنا . جاءت بزجاجة برفان دى بقى هاتنعشك . فكت قميصه ووضعت له تحت إبطيه وفى وجهه

وصدره وكانت يدها تزيد توتره ، وضعت هى الأخرى خلف أذنيها وتحت إبطيها وبين فخذيها ، وأخذ العرق ينز من جبينه بينما الدم اندفع إلى عروق رقبته ووجهه ، ضحكت : أنت ماشفتش واحدة قالعة قبل كدة ؟ هز رأسه نفيًا فاقتربت منه وتحسست صدره : يعنى أنا أول واحدة تشوفها ، أومأ بالإيجاب . والنبى باين عليك خلبوص وهارى البنات ، طب إيه رأيك فيا؟ باين مش عاجباك . رفع رأسه ونظر إلى صدرها المنتصب أمام وجهه يكاد يلمسه . أخذت تمرسه بأصابعها حتى أصبح مثل وتد ، سلتت بنطلونه وأدنته من فمها وأخذت تمتصه ثم انسطرحت فوقه ، وصرخ لذة ونشوة ، وضعت يدها على فمه حتى هدآ هما الاثنان ، عند الباب همست له : لا تقل لأحد على ما حدث ، دا سرنا أنا وأنت بس ، أنت الآن رجلى وحبيبى وكل يوم تصحينى فى نفس الميعاد وفى كل يوم كان يقول لأمه إنه ذاهب للمذاكرة فوق السطوح ، وفى كل يوم ينام فى شقة خيرية حتى أدمنها فى الأيام التى يأتى فيها شوقى كان يشعر بالاكتئاب ، وكان ينظر فى الكتب بالساعات دون أن يعى شيئًا ، وأحست أمه بأن تغيرًا ما حدث له ، بدأ يهزل ويصاب بأنيميا ، كما أنه أصبح شاردًا دائمًا ، تتبعته فى إحدى المرات ، وعرفت أين يذهب ، وبحكمة ، طلبت من خيرية ترك الشقة بهدوء ، وذهب هو إلى المستشفى ليعالج من أنيميا حادة والتهاب فى الأعصاب ، وفى نهاية العام ، كان رسوبه محققًا . ظل خمسة عشر يومًا فى المستشفى يعالج من آثار خيرية ، لكنه لم يسلم أيضًا من عبث الممرضات ، كان ابن عمه يحضر إليه بعض المجلات وكتب المغامرات للتسلية ، فيجلس بالساعات يقرأ فى شرفة العنبر بينما الممرضات الصغيرات يتقافزن حوله

يعابثنه ، فى الليل كانت إحداهن فى النوبتجية ، صغيرة وجميلة ، عند مرورها رأته جالسًا ليقرأ بينما الجميع نيام، ابتسمت وقالت : بتقرا إيه ؟ مد يده بالكتاب فقرأت عنوان الغلاف "خذنى بعارى" للمؤلف عزيز أرمانى . هزت رأسها : لا يا أخويا دى قصص قلة أدب ، أنا بحب قصص إحسان عبد القدوس ، عندك منها ؟ أخرج من درج الكومدينو مجموعة قصصية لإحسان بعنوان "شفتاه" . قالت له تعالى اجلس معى نقراها سوا . دخل معها حجرة الممرضات ، لم يكن هناك غيرهما . جلس على تروللى الكشف بينما جلست تحت قدميه على كرسى وأخذ يقرأ لها ، كانت القصة تحكى علاقة حب بين ولد وبنت انتهت إلى الفراش ، أنصتت إليه مغمضة العينين ، وفى لحظة ذروة القصة ، وضعت يدها فوق فخذه تعابثه ، وأمسكت يده وأمرته أن يدسها بين فخذيها ويفعل مثلما تفعل ، وسمع صوت تأوهاتها ، بينما ارتكنت بظهرها على الجدار مغمضة العينين ، وفكت أزرار البالطو الأبيض ثم القميص وأخذت تداعب صدرها ، وكان جسدها ينتفض ويتقلص هو ووجهها ، وشهقت وكأنها فى النزع الأخير ، ثم أخيرًا تراخى جسدها فسحب يده وقد تبللت أصابعه بلزوجة منيها ، كانت توقظه من النوم ليقوم بمداعبتها بيده فتؤجج ناره ، ولا تسمح له بأكثر من ذلك . وامتنع ذات يوم فتذللت إليه وقالت إنها تخشى أن تفتض بكارتها ، لكنها سمحت له بأن يضعه بين فخذيها فقط ، وفى ذروة هياجها همست له بأن يخترقها ، لكنه تراجع لا يدرى لماذا ، وأحس بالقوة لانتصاره على نفسه . بعد خروجه من المستشفى تحاشى أن تقع عينه فى عينى أمه ، وهى بدورها لم تحدثه عن شىء اكتفت فقط بأن ربتت على

ظهره ونظرت إليه مبتسمة : والله وكبرت يا جمال وبقيت تعرف تحب . قالتها بفخر أم كبر ابنها فجأة وأصبح رجلاً . فى المساء ، اتصل بغادة ، همست له فى السماعة : محمد هنا ، ثم انقطع الخط فجأة . حدثه قلبه بكارثة ، ربما عرف بما يحدث ، هل باحت له فى لحظة ضعف ؟ هل رأهما أحد معًا فأخبره ؟ لماذا قطعت الاتصال فجأة ؟ لابد أن شيئًا قد حدث ، وما الذى يفعله الآن ؟ هل يذهب إليه وكأنه لا يعرف شيئًا ؟ أم ينقطع فجأة ؟ فقد يشك فى أمره . فتح له الباب ونظر إليه بعينيه الخضراوين ، وابتسم : أهلاً بالاستاذ ، تفضل ، قاده إلى الداخل وأجلسه فى الأنتريه . حمدًا لله على السلامة يا فندم . قال ونظر إليه من تحت لتحت ؛ عله يقرأ شيئًا فى وجهه ، لكنه كان هادئًا مبتسمًا . غادة حكت لى على كل اللى بتعمله . وقع قلبه بين قدميه رعبًا : ما الذى حدثته عنه ؟ هل قالت له على كل شىء؟ دى بتشكر فيك قوى . آه . تنهد من القلب لنفسه وأخذ يبحث بعينيه عنها ، ولابد أنها سمعت صوته ، فقد جاءت تميس بدلال ، سلمت عليه وجلست على حرف الفوتيه الذى يجلس عليه زوجها واتكأت بيدها على كتفه : أنا شكيتك لمحمد ، تصور ، الأستاذ يفضل واقف على الباب وما يدخلش . رد محمد : ما أنا عارفه ، أصله بيتكسف ، وأخبار البلوفرات إيه ؟ قالت غادة : تصور يا محمد باعها كلها وادانى الفلوس . قام محمد فانتهزت الفرصة ودست ورقة فى يده ، ثم تركته ودخلت هى أيضًا ، عاد وفى يده بلوفرات أخرى : بما أن كل البلوفرات اتباعت أنا هازود السعر خمسة جنيه ، وعلى فكرة أنا جاى أربعًا وعشرين ساعة وراجع تانى المشروع ، وعاوزك تجينى وتجيب معاك الفلوس، استأذن

وانصرف سريعًا ، تنهد بارتياح ، فقد مر اللقاء بسلام وتبددت مخاوفه ، تحسس الورقة التى أعطتها له فى جيبه ، وفور عودته للمنزل فتحتها وقرأ :

حبيبى .. جاء محمد فجأة وعلى غير انتظار ، محمد سألنى عنك فقلت أنك تجيء كل يوم وأنك تقف على الباب وتأبى الدخول ، محمد سيعود غدًا إلى العمل ، فانتظر يومًا وتعالى لأضمك إلى صدرى ، واعمل حسابك تبات عندى ، قبلاتى الحارة .

لم تكن الرسالة تحمل توقيعها ، وعدّ هذا من علامات ذكائها ، فإنها تخشى أن تستخدم ضدها فيما بعد ، من بين النساء اللواتى عرفهن ، كانت غادة أكثرهن ذكاء وحيوية ، متفجرة الأنوثة وعلى استعداد لممارسة الحب فى أية لحظة ، ربما كان الحرمان الذى تعانيه له دخل فى هذا ، سألها مرّة . لماذا لم تطلب الطلاق منه قالت إنها طلبت منه فى لحظة يأس ، ودهشت لرد فعله ، فقد انفجر باكيًا ودفن رأسه بين ركبتيها ، قال لها تطلب أى شيء وتفعل أى شيء ، ولكن لا تتركه فهو يحبها ولا يستطيع العيش دونها ، لحظتها ، شعرت بالإشفاق عليه ، بل إنها ضمته إلى صدرها وأخذت تبكى معه ، من وقتها ، يلبى كل رغباتها ويتركها تفعل ما يحلو لها وهذا ما كان يطمئنها بعض الشيء حول ردود فعله إذا عرف علاقتهما.

فى الصباح الباكر ، حمل حقيبة «هاندباج» وركب إلى محطة القللى ، استقل عربة «بيجو» ذاهبة إلى السويس ، وعند الكيلو ٨٠ أشار للسائق بالتوقف ونزل واتجه إلى الصحراء ، لمح عدة خيام متناثرة فى عمق الجبل فأدرك أنها قيادة اللواء ، اتجه إليها وسأل عن كتيبته ، لمح جندى المراسلة الخاص بالرائد فسلم عليه وأشار إلى خيمته : لكنه ذهب إلى الجبل الآن ،

فهناك مشروع ضرب نار يحضره قائد المنطقة المركزية . ثم أكمل : ممكن تنتظره فى الكانتين لحد ما يرجع . طلب شايًا وباكو بسكوت وجلس وأخذ يتسكع بعينيه فى أرجاء المكان حتى تجاوزت الساعة الثانية ظهرًا ، حينها أحس بحركة غير عادية فعرف أنهم عائدون ، غادر الكانتين ووقف أمام خيمته ، ولمحه آتيًا فى عربة جيب مفتوحة ، تقدم منه وسلم عليه فأخذه إلى خيمته . هنا من أمتى ؟ من الصبح يا فندم . جبت الفلوس ؟ هز رأسه وأخرج من جيبه العلوى لفة أوراق نقدية أعطاها له . لو يعلم أن زوجته هى التى أعطته هذه النقود ! شوف ، المشروع ينتهى بعد بكرة ، أنت تنزل دلوقت ومتنساش تعدى على المدام تشوفها عايزة إيه واتصل بى بعد بكرة فى البيت يللا مع السلامة .

عند عودته لم يمر على منزله ، بل اتجه رأسًا إلى منزل الرائد ، ضغط الجرس ففتحت له وعند الباب قبلته ، وتعجب لجرأتها : جيت بدرى على غير العادة ، كنت فين ؟ تساءلت وجلست على ركبتيه وأخذت أصابعها تداعب شعره بينما أنفاسها المعطرة والحارة تلفح رقبته : كنت عند الرائد فى المشروع . وأوصانى بك وأمرنى بالمرور عليك . ضحكت ودفنت رأسه فى صدرها بمرح : بجد ، وأنت جيت تعمل بالوصية ، طب يللا قوم ؟؟ حتى أشبع . أنا هاطلب منِّك طلب . أأمرنى يا روحى . عاوز أنام ولو ساعة واحدة المشوار هدنى، وعلى فكرة المشروع ينتهى بعد بكرة ومفيش قدامنا غير الليلة . ولا يهمك سنتصرف، سكة غادة كلها مسالك . قالت وقادته إلى حجرتها فأنامته وقبلته : مش ها أزعجك، نام براحتك لحد ما تشبع، وراك شقا لحد الصبح وكان بالفعل يشعر بالتعب فأغمض عينيه وراح فى

النوم ، كم من الوقت مضى ؟ لا يدرى ، لكنه أفاق فشعر بها تلتصق به ويدها تعبث به من تحت الملاءة وجردته من ملابسه . وأراد أن يقوم ففردت ذراعيه وصلبته بيديها وانطرحت فوقه وأخذت ترهز حتى غابت عن الوعى، وصرخت صرختها الأخيرة قبل أن ترتمى على صدره ساكنة .

(9)

مرّ يومان قبل أن ينتهى المشروع ويعود الرائد محمد إلى منزله ، كان يعلم بوصوله فاتصل به مساء . قال له لا تجهد نفسك بالمجىء الليلة ، أوصاه بتسليم نفسه إلى الكتيبة صباحًا ، فقد جاء أمر من المحكمة باستدعائه وضع السماعة وأشعل سيجارة ، غدًا يبدأ الشقاء ، وأمامه اليوم فقط ، فقد يحتجزونه من الغد ، ولا يدرى لماذا تذكر زوزو فجأة ، سوف يطلبها الآن ، ألم تقل له اطلبنى فى أية لحظة ، عرفته من صوته فقالت بلهفة : اركب تاكسى على حسابى وتعالى فورًا، العنوان معاك ما يتوهش، كان البيت يقع على ترعة المريوطية ، ولم يجد صعوبة فى التعرف عليه ، ووجدها فى انتظار، على باب الشقة ، ضغطته فى صدرها وقبلته ، كانت أكثر جمالاً من المرّة التى رآها فى معسكر الشرطة ، قادته إلى حجرة بها مقاعد عربية ، جلس على الأرض وجلست أمامه : خرجت أمتى ؟ سألته ولم تنتظر إجابته فأردفت : حمدًا لله على السلامة ، دى مفاجأة بمليون جنيه ، معقولة لسه فاكرنى . كانت المرأة التى عرفها فى الحبس قد تلاشت الآن ، أما التى أمامه فهى أخرى أكثر جمالاً مما كان يظن ، ترتدى ملابس غالية وصاحبة ذوق رفيع وتنبعث من جسدها رائحة بارفان غالى الثمن ،

ولديها خادمة صغيرة تحمل طفلها . قالت إنها منذ أن خرجت والزبائن ما عادوا كما كانوا ، يخشون المجيء إليها خوفًا من حدوث كبسة ، فالشقة أصبحت معروفة لدى شرطة الآداب ، كانت الفضيحة بجلاجل حين أخرجوا ستة رجال بساؤهم ملفوفون فى الملاءات ، والدنيا كلها تفرجت على المنظر ، لكنها تعتمد الآن على الزبائن القدامى لأنها تقدم إليهم بضاعة مثل طابع البوستة مضمونة ومقفولة بختم ربها ، ترحمت على الصيف وأيام الصيف حين يجيء العرب ويجعلون الدنيا تزدهر ، أما الآن فإنها تفكر فى بيع الشقة والانتقال إلى مكان جديد لا أحد يعرفها فيه فربما رجعت الأوضاع مثل الأول ، حدثته كصديق قديم عن حياتها منذ أن كانت صبية فى الثانية عشرة، وكيف كانت تذهب وراء سيدتها التى كانت تعمل لديها تحمل لها حقيبة بها سجائر ومناشف ، وكان الزبائن يضاجعون سيدتها أمامها ، تذكر ذلك اليوم حين اتفقت سيدتها مع أحدهم وقبضت ثمنها وأمسكتها له ، ارتعابها من منظر الدم المراق على فخذيها والآلام المبرحة التى لازمتها طويلاً ، لكنها أعادت الكرة تحت ضغط الحاجة ، وسرعان ما اعتادت ذلك الأمر ، موت سيدتها بعد أن عرفت منها أصول الصنعة ، كانت هانمًا حقيقية تعرف كيف تعمل بشياكة ودون تبذل ، تقول أهم شيء الواحدة تحافظ على البرستيج بتاعها وتكون عزيزة النفس بدون وضاعة ، وأهم من كل ذلك ، كانت لها صلات سياسية ، تقول : بدون صلات سياسية يصبح عملك خطراً ولا تساوى شيئًا ، فهى التى تحمى وتجعل للواحدة ظهراً تعتمد عليه . سألته فجأة : وبتعمل إيه دلوقتى ؟ هز كتفيه وقال إنه لا يفعل شيئًا ، وإنه فى انتظار محاكمة عسكرية ولا يدرى ماذا يحدث فى الغد . نظرت إليه وسرحت للحظة وسألته : ما تفكر تشتغل

معايا . ضحك ، ودهمه السؤال فارتبك : أعمل إيه ؟ معايا ، أنت جسمك جسم مانيكان ، طول بعرض ، وسيم ، رشيق ، وتدوخ أيها واحدة ، فكر أنت بس وأنا أخليك تاكل الشهد . اعتدلت واتخذت شكلاً جاداً وهى تتحدث ، وجلس صامتًا مبهورًا بما يسمع ، حدثته فقالت : إن المهنة تطورت بشكل سريع ومخيف مع تطور الحياة ، دخلها الكمبيوتر وشبكات الإنترنيت والموبايل وأفلام الفيديو وحتى شرائط الكاسيت ، حتى الأماكن تغيرت ، فبعد أن كانت فى شارع عماد الدين وكلوت بك والكيت كات ومحمد على وعوامات النيل ، أصبحت الآن فى شارع الهرم وجامعة الدول العربية ، النوعيات أيضًا تغيرت فدخلها فتيات أرستقراطيات وسيدات مجتمع ، علاوة على الراقصات والممثلات الشهيرات حتى أن إحداهن وصل أجرها عن ليلة واحدة ثلاثين ألف جنيه ، لم يعد شارع الهرم منطقة جذب للسياح كما كان من قبل ، بل القرى السياحية الجديدة فى شرم الشيخ والبحر الأحمر والساحل الشمالى ، أما العرب الكحيتى ، فهم يذهبون الآن إلى جامعة الدول العربية ، وقد ازدهر الشارع فانفتحت مطاعم جديدة للوجبات السريعة مثل كنتاكى وصب واى ، وتيك أواى ، وومبى وغيرها وأضواء ملونة لا تنطفئ طوال الليل ، ومبى مثلاً ؛ تكونت حوله حلقات من وجبات الجنس السريعة ، والعرب يذهبون إلى هناك ، الرجل يلتقط ما يحلو له من فتيات ، وليست هناك مشكلة فسماسرة الشقق المفروشة متواجدون هناك أيضًا ويؤجرون الشقة بالساعة ، كذلك النساء يلتقطن ما يروق لهن من الشباب ، لكل هذه الأسباب فهى تفكر بالانتقال لجامعة الدول العربية ، فهى المستقبل المزدهر لهذه المهنة .

لم يكن مندهشًا لما تعرفه من معلومات عن مهنتها ، كان يعرف أكثر من

ذلك ، فقد قرأ مرة تقريراً عن سوق الدعارة أو تجارة الجنس ، ويعرف أنها أكثر انتشاراً الآن برغم تحريمها ، مما كانت عليه قبل الثورة ، ويعرف أيضًا أن أن الشواذ من الجنسين لهم أماكن تجمع معروفة ، وأن بعض الكبار يملكون شققًا يؤجرونها مفروشة ولا أحد يجرؤ على مهاجمة هذه الشقق ، فهى محمية ، وأنه فى السبعينات تطورت الدعارة ، ووجدت لنفسها ثغرة فى القانون ، فتدفقت فجأة وفود العرب على قرى بعينها وأحياء شعبية فقيرة للزواج العرفى أو بعقد ، من فتيات صغيرات لمدد تتراوح بين أسابيع أو شهر حسب الاتفاق نظير مبلغ يدفع للأهل ، وكان الاتفاق مريحًا لكل الأطراف ، فالأسرة الفقيرة التى لا تملك قوت يومها ، لكنها تملك فتيات مثل ورود صغيرة لم تتفتح بعد ، وجدت نفسها تستطيع العيش قليلاً عن طريق بيع بناتها نظير حفنة دولارات أو ريالات ، والعرب الباحثون عن المتعة الآمنة ، وجدوا أنها طريقة سهلة غير مكلفة ، فهم يستطيعون التهام جسد بكر جميل طوال فترة إقامتهم دون دفع مصروفات إضافية ، بدلاً من فتيات الليل الجشعات ، ثم إنهم مسلمون فلابد وأن يكون كل شىء حسب الشريعة الإسلامية ، وبذلك يكون قد كسب الدنيا والدين !

كان عرضها صادقًا وحماسيًا ، ونظر إلى ساعته وهب واقفًا : ياه ، الوقت سرقنا . إحنا لسه قعدنا ، أنا عازماك على السهرة عندى . قالت وابتسمت وببلاش يا سيدى ، إيه رأيك ؟ اعتذر متعللاً بأنه يجب أن ينام مبكراً ليصحو فجراً للذهاب للكتيبة . عند الباب صافحته وضغطت على كف يده : أنا تحت أمرك فى أى وقت ، الزيارة دى ما تتحسبش وهستناك مرة تانية ، وعلى فكرة ، فكر فى اللى قلته ، نحط أيدينا فى أيد بعض .

الفصل الثالث

المحاكمة

(١)

كانت إجراءات بدء المحاكمة مملة وكئيبة ، ففى الثامنة صباحًا ، يذهب إلى الكتيبة لاستكمال الأوراق ، ثم يصطحب مندوبًا خاصًا عينه الرائد محمد مرافقًا له إلى المحكمة ، فيقف فى طابور طويل يكاد لا ينتهى لمجرد توقيع ورقة أو السؤال عن بعض الإجراءات ، واستمر ذلك مدة أسبوع ، وأخيرًا حدد موعد المحاكمة يوم اثنين بعد أسبوعين . وأراد الرائد محمد إراحته مؤقتًا من بيع البلوفرات حتى يتفرغ للإجراءات فاقتصرت مقابلته له فى الكتيبة ولم يعد يذهب إليه فى المنزل ، كذلك لم يعد يرى غادة زوجة الرائد ، فى آخر مرة ذهب إلى المحكمة ، قابل شابًا فى أحد المكاتب ضابطًا برتبة نقيب ، تعرف عليه على الفور ، إنه أحمد سامى زميل الجامعة هو لم يعرفه ، لكنه عرّفه إلى نفسه فاحتضنه وقبله ، كان معروفًا فى الجامعة باعتباره ثورجيًا ، وكان الجميع يتوددون إليه ، وكان أحمد أحد الذين يتوددون إليه متمنيًا أن يصبح من شلته ، فى ذلك اليوم ، أصر على توصيله بعربته ، وفى الطريق عرف حكايته ، كان أحمد يقترب بملامحه من الفتيات، التقاطيع الدقيقة والشعر الأسود الناعم والعيون السود الواسعة مع ميوعة فى حركاته وكلامه ، وكانوا يطلقون عليه اسم شادية لأنه يرسل شعره على جبينه فيشبه قُصة شادية الشهيرة ، أما الآن ، وقد أصبح نقيبًا ونائبًا للأحكام فى المحكمة ، فقد حلق شعره واتسمت نبرات صوته بالشدة بعض الشىء . قال له : لماذا لم تتصل بى ، كنت حللت لك هذه المشكلة

ببساطة من الأول ، أما الآن ، فلابد من المحاكمة ، على أن المسألة تتطلب تكتيكًا من نوع آخر .

أعطاه موعدًا فى أحد مقاهى وسط البلد ، وفى المساء كان يجلس على المقهى فى انتظاره ، ولم يتأخر ، سلم عليه وجلس بجانبه وأخذ يتحدث : شوف يا سيدى ، الحكم الذى يناله شخص فى حالتك وظروفك هو ثلاث سنوات مع الرفد من الخدمة . صمت وتطلع إليه قليلاً ثم أضاف . أما وقد قابلتنى فسوف ، أخدمك خدمة العمر ، خدمة صديق لصديقه ، لكن المسألة تحتاج بعض النفقات . رسم علامة استفهام على وجهه فأكمل : سوف نحصل على سنة مع الإيقاف ، وهى معجزة ، لكنها تتحقق بإذن الله اعتمد علىّ . كم تحتاج ؟ تساءل وتطلع إلى وجه صديقه . ثلاثة آلاف ، عهد مين ده . ومد يده وتناول كفه وهزها ، والعشرة دول مافيش جنيه واحد هاحطه فى جيبى ، هادفعها كلها لأصحاب نصيبها . اتفق معه على تسليمه نصفها قبل المحاكمة والنصف الآخر بعدها .

لم يكن تدبير ثلاثة آلاف جنيه بالأمر الهين ، خاصة وأنه لا يملك منها شيئًا ، لو عرض الموضوع على غادة فسوف تتصرف وتعطيه المبلغ ، فكر فى الاتصال بها ، ربما كان الحديث فى التليفون غير مجد ، سوف يذهب إليها ، ويحدثها وهى بين ذراعيه ، لن ترفض أبدًا فى مثل هذه الحالة ، حين ذهب إليها ، كانت المفاجأة أنه لم يجد أحدًا ، أخبره البواب أنهما سافرا ولا يعرف متى يعودان ، وقف حائرًا لدقائق ثم استقل تاكسيًا إلى المريوطية. كان الوقت مساء حين وقف على باب زوزو . أخبرته الخادمة أنها تأخذ حمامًا ، جلس فى انتظارها وأخذ يدخن بعصبية ، ولابد أن

الخادمة أخبرتها فقد جاءت من الحمام مباشرة كانت تضع فوطة على شعرها وقد ارتدت روبًا على الجزء الأعلى من جسدها ، أما ساقيها وفخذيها فكانا عاريّين ، قبلته وجلست بجانبه وأشعلت سيجارة ، . خطوة عزيزة دا انت دايمًا بتاع مفاجآت . ودخل في الموضوع مباشرة ، قال إنه يحتاج لثلاثة آلاف جنيه من أجل القضية ، وأخذت هي تهز رأسها تشجعه على الحديث حتى انتهى. المبلغ دا كبير قوى ما أملكش ربعه دلوقت ، ممكن أدبره بعد شهر . هز رأسه نفيًا : المسألة مستعجلة ولازم يندفعوا خلال يوم أو يومين . صعب جدًا . قالت وأطرقت إلى الأرض ساهمة لدقائق ثم رفعت وجهها إليه مبتسمة : ولا يهمك ، تدبر عشان خاطر عيونك . فاكر الموضوع اللى كلمتك عنه . موضوع إيه ؟ قال وهو يطفئ سيجارته بعصبية . لحقت تنسى، مش قلت لك نشتغل سوا ، إنت ابن حلال ، فيه زبونة من الخليج ، ومحتاجة لشاب بمواصفات خاصة يقيم معها لمدة شهر ، وكل المواصفات تنطبق عليك ، إيه رأيك ؟ ودى تدفع كل اللى تطلبه ، وأنا عن نفسى مش عاوزة حاجة المرّة دى ، المهم تقضى مصلحتك وسيب تدبير المسألة على أختك وما تحملش هم ، يعنى توفر مجهودك كله لها . يللا بقى فرفش . لم يشعر بضآلة نفسه كما يحسها الآن ، ها هو ينزلق إلى طريق ليس فيه رجعة، طريق لم يكن يتخيل مجرد التخيل أنه الطريق الوحيد أمامه الآن . ولدهشته ، سمع صوته يقول لها بمذلة : وهل يبقى الموضوع بيننا سرًا لا يعرفه أحد ؟ صرخت : يعنى موافق ، وارتمت عليه احتضنته وأخذت تقبله ، صدقنى مش هاتندم ، ومن ناحية الأسرار اعتبره فى بير مالوش قرار وكل شغلنا أسرار يا عيونى ، ثم غمزت بعينيها : لكن يا

روحى أدوقك الأول وأعاين البضاعة ، مش يمكن ما تنفعش . ودون تردد ، وكأن الأمـر لا يعنيه ، خلع مـلابسه ، وفى لحظة كان يقـف أمامهـا عاريًا ، ورفع رأسه وأخذ يدور حول نفسه ، ووسط دهشـتها سمعت صوته يقول : وأنا ضامن بضاعتى وعلى التجربة .

فى مساء اليوم التالى مر عليها حسب الاتفاق بعد أن اعتنى بنفسه عناية خاصة ، فـبدا مثل نجوم السينمـا لامعًا ونظيفًا يفـوح منه عطر غالى الثمن ، ولم تتمالك زوزو نفسهـا ، صفرت بفمها إعجابًا وغـمزت بطرف عينيها : سيـدى يا سيدى على الجـمال والشـياكة ، يا أرض احـرسى . سار أمامـها ومشت خلفه وأمسكته من وسطه : بس تعرف ، انت خسارة فى البهدلة مع ولاد الـ ... لم تكمل وأخـذته إلى الداخـل ، كان يتـوقع وجـودها فـأخـذ يتلفت حين رأى المكان خاليًا ، أشارت بأصبعها وهمست : بالداخل ، جت قبل منك بنص ساعة . وقف ، وبدا عليه القلق بعد أن تركته زوزو لدقائق ، كان كل تفكيره ينحصر الآن فى شىء واحـد تمناه ، ألا تكون دميمة حتى لا يتعذب . مرت الدقائق بطيئة قبل أن تظهر زوزو وراءها امرأة لا يظهر منها سوى عينيها ، كـانت ترتدى عباءة سوداء من رأسها حتى قدميهـا ، قدمتها له باسم سـارة ، ثم أشـارت لهـا : ارفـعى الكلام الفـارغ ده ، الدار أمـان . وخلعت العباءة ، ولوهلة حملق فيها غير مصدق ما يراه ، رأى أنثى حقيقية أمـامه ، كـانت أربعينيـة ، ولها مـلامح ظبـية وحـشيـة ، ترتدى أحدث مـا توصلت إليه خطوط الموضة ، بلوزة سوداء مطرزة ولامعـة بحمالات دقيقة كشفت عـرى صدرها وكتفـيها وتحت إبطيها ، وجـيبة بيضـاء ميكروجيب أظهرت سـاقين رائعتين ملفوفـتين وطويليتين ، كـان لون بشرتها خـمريًا ،

وشعرها الأسود الدسم شديد النعومة ، تناثر على كتفيها وظهرها ، وأحس بقلق خفى ، وبدا أكثر عصبية حين جلست أمامه واضعة ساقًا فوق أخرى ، فاستطاع تمييز لون الكُلُتّ الملموم على جنب مظهراً شعر عانتها شديد السواد ، وأخذت الأسئلة تطن فى رأسه : امرأة بكل هذا الجمال تبحث عن رجل بأجر ؟ فى الوقت الذى لو أشارت لزحفوا على ركبهم أمامها ؟

كانت ترمقه من تحت لتحت ، وشعر بنظراتها تخترقه فتململ فى جلسته، واشتعل وجهه احمراراً ، فضحك تعجبًا لقدرته حتى الآن على الشعور بالخجل ، وأحست زوزو بتوتر الجو فهتفت : تشربوا إيه ؟ كرفوازيه لو عندك . وانت ؟ أى حاجة . خرجت زوزو وتركتهما وحدهما، تنحنح ، وأحس أن عليه يقع عبء قطع هذا الصمت فقال : إزيك ، كيفك انت ؟ ردت وعدلت من وضع ساقها وابتسمت وهى تتابع نظراته المستقرة على فخذيها العاريين : إيش تعمل يا عزيزى ؟ هز كتفيه : حاليًا .. لا أعمل شيئًا . وشو كنت تعمل من قبل ؟ لا شىء أيضًا : قال وبدأ يشعر بضيق . ولم تمهله ، بل دخلت فى الموضوع مباشرة : ولكن لن تكون عاطلاً بعد اليوم ، شوف سيدى . قالت إنها المرة الأولى التى تزور مصر ، وأنها تشعر بغربة خاصة إذا كانت بمفردها . وأنها جاءت قبل زوجها ، وسوف تمكث شهراً وحدها قبل أن يلحق بها فلديه عمل فى أوروبا ، وأن الفيلا التى يملكها زوجها فى منطقة موحشة بمصر الجديدة ، وأنها تريد مرافقًا لها، تريده منذ الصباح الباكر فهى لا تريد تضييع الوقت دون أن ترى كل شىء فى القاهرة ، أما النقود ، فلا يحمل لها همًا . دخلت زوزو بزجاجة الشراب وأكواب وضعتها أمامهم وأخذت تصب الشراب ،

قـالت : أصلى وزعت الشغـالة عشـان نبقـى على راحتنا . نظرت إليـهمـا وأكملت : شكلكم اتفقتم . وغمزت بعينها : أخرج أنا منها بقى . ضحكوا على دعابتها ، وتناولت سارة كأسها شربته دفعة واحدة وقامت واقفة : أيام سورى ، فـأنا انتظر هاتفًا من زوجى ولابد من الرحـيل الآن . قامت معـها زوزو لتوصيلها ، عادت بعد دقـائق تبتسم وتنظر إليه بدلال : المرة هاتنهبل عليك ، انت عملت لها إيه ؟ أحس بالخجل فأطرق إلى الأرض . شوف يا خويا عامل مكسوف ، دانت باين عليك جـن مصور . تعالى بقى نتكلم فى الشغل ، أنا لى عـشرة فى المية على أى زبونة أجـيبهـا لك ، موافق ولا لأ ؟ ولما لم يجب أكملت : طيب تعالى بقى أدربك على شوية حاجات تنفعك، وضحكت وهى تسحبه من يده إلى الداخل .

(2)

فى الثامنة صباحًا ، كان يطرق الباب الداخلى للفيلا ، وظل الجرس يرن والباب يدق فـترة طويلة قبل أن يفـتح الباب ، وظهرت سـارة على مدخله كانـت نائمة وشـعرها يغطى وجـهها وقد ارتدت شورتًـا وبلوزة قصـيرة أظهرت بطنهـا ، تركتـه على الباب ودخلت فدخـل وراءها وأغلق الباب ، ووجد نفسه وحـيداً فى الصالة لا يعرف ماذا يفعل ، وجـاءه صوتها نائمًا : أنا هنا ، تعالى ، تتـبع مصدر الصـوت فوجد نفسـه فى غرفة نومهـا، كانت نائمة على بطنها ورأسها مدفـون بين وسادتين ، وقف يتأمل تكوين جسدها البديع للـحظات ، ولما لم تنتبه لـه جلس على حافة السـرير ومرر أصـابعه على ظهرها وردفيها بحركة يعرف تـأثيرها جيداً ، كانت زوجته تقول حين

يفعل ذلك إن لك أصابع ساحر تسرى فى الجسد مثل كهرباء . ولما لم تبد مقاومة، تذكر أن عليه بدء العمل فصعد بجانبها.

قال لزوجته أمينة : وهو يضع فى حقيبته بعض أشيائه أنه سوف يذهب مع الرائد فى مأمورية لمدة أسبوع ، واهتزت مشاعره حين دعت له بالتوفيق والعودة بالسلامة . فى طريقه إلى سارة ، اتصل بالرائد فعرف أنهما لم يعودا بعد ، كانت جالسة فى فرندا الفيلا فأشارت له ، تقدم نحوها وجلس بجانبها ، كان الجو خانقًا فارتدت قميصًا على اللحم و«سلبّ» فقط ، وأمامها على الترابيزة وضعت زجاجة ويسكى سكوتش ووعاءً من الثلج وكأسًا ، قامت أحضرت كأسًا أخرى وصبت له ، وأدارت جهاز مسجل فسرت موسيقى ناعمة ، دخل هو أيضًا فخلع ملابسه واكتفى بفانلة بحمالات وشورت ، أشعل سيجارة وارتشف من كأسه ببطء وتلذذ قالت: تحب ترقص . وضع الكأس جانبًا وبدآ يرقصان ، وضعت رأسها على كتفه فأحس أنفاسها الساخنة تلهب وجهه ، وفحّ جسدها برائحة ياسمين منعشة ومثيرة وأخذت أصابعها تعبث برقبته وظهره وتضغط على مؤخرته ، همست : أشعر بالدوار فقد شربت كثيراً ، تركته وارتمت على أحد الكراسى ورفعت ساقيها على مسند الكرسى ، وأشارت له : تعالى هنا جنبى ، تعرف ، أنا عشت كثيراً فى أوروبا يعيشون فى جو من الحرية المخيفة ، بينما نحن مكبلون بأغلال كثيرة كالدين والأخلاق والعادات والتقاليد والأعراف وأشياء كثيرة لا توجد إلا فى عالمنا العربى ، وهم يتقدمون ، بينما نحن نعود إلى الوراء فهل العيب فينا وفيما نعتقده ؟ قل لى. أخذت تنظر إليه بعينين نصف مغمضتين . وبدت له سكرانة ولذيذة ،

وارتشف من كأسه قبل أن يرد عليها : أنا لم أذهب إلى أوروبا مثلك ، ولكن يبدو لى أن الناس هناك حلت مشاكلها بنفسها ، وقد تبدو لك الحرية التي يتمتعون بها مخيفة على اعتبار أنها حرية مطلقة ، بينما هى عكس ذلك حرية مقننة ، فهؤلاء الناس صنعوا تقاليدهم بأيديهم ، أما نحن فقد ورثنا هذه التقاليد فظللنا أسرى الماضى ، وهذا هو الفارق بيننا وبينهم ، ليس للدين دخل فى هذا الموضوع ، بل على العكس فهم بمفاهيم ديننا ، يعتبرون أكثر تدينًا ، فالمساواة والعدل والحرية والحث على العمل والتقدم هى جوهر جميع الأديان ، هم يفعلون ذلك بينما نحن نكتفى بالطقوس .

قالت : هل تظن أن للحروب التى خضناها طوال التاريخ ضد الاستعمار وضد إسرائيل دخل فى هذا التخلف ؟ ضحك بصوت عال ، وانتابته كريزة من الضحك فشرق ، ودمعت عيناه ، وانتبهت هى له ،صب لنفسه كأسًا أخرى قذفها فى فمه دفعة واحدة : أية حروب تقصدين ، بل قولى الهزائم المتوالية التى خاضها العرب ، أقول لك على شىء قد تدهشين له ، فكثيراً ما فكرت أن العرب لم ينتبهوا أبدًا أنهم مهزومون على طول الخط ، فقد تحولت تلك الهزائم بقدرة قادر إلى انتصارات ورقية ، هُزمنا فى الواقع وانتصرنا على الورق .

بدت له العبارة الأخيرة جيدة فأخذ يرددها . وبحركة تمثيلية وقف أمامها وانحنى واضعًا يده فوق صدره : أقدم إليك سيدتى أحد أسلافك المهزومين، أقدم إليك أحمد عرابى ، مصطفى كامل ، سعد زغلول ، جمال عبد الناصر ، محمد أنور السادات ...

هل تريدين فرعونيات ، خذى عندك ، حور محب ، أحمس ، تحتمس ،

رمسيس الثانى ، خوفو ، خفرع ، منقرع ، ودلوكّة أعظم ملكة فى التاريخ .
وانهار فجأة فوقع على ركبتيه وبدا سكرانًا يحادث نفسه : هذا هو تاريخى الذى أحمله فوق ظهرى أينما وليت ، تاريخ أعظم الحضارات ، وأعظم الهزائم أيضًا ، وبدا صوته خافتًا وهو يدندن : خلّى السلاح صاحى صاحى.. لو نامت الدنيا صحيت مع سلاحى ، يا حبنا الكبير .. والأول والأخير ، طوف وشوف ، قوم بإيمان وضمير .. دوس على كل الصعب .. على كل الصعب وسير ، يا صوت بلدنا يا صوت ولادنا ، صوت الوطن ، وبلدنا على الترعة بتغسل شعرها ، أنا إن قدر الإله مماتى ، انتصرنا يوم ما هب الجيش وثار ، لو مت يا أمى ما تبكيش ، الأرض بتتكلم عربى تقول حطين ، لا تصالح ولو قلدوك الذهب ، الطشت قاللى يا حلوة يا للى الشيكولاته ساحت راحت ماطرح ما راحت ، كوز المحبة انخرم .. وسقطت قربك فالتقطنى واضرب عدوك بى فانت الآن حروحروحر ... يا حلاوة .

اعتدلت سارة وبدا أنها أفاقت على صوته الذى علا منشداً ، وتحول إلى نشيج مكتوم ، وبكى ، بكى كما لم يبك من قبل ، بكى طفولته التعسة ، وبكى يتمه وشبابه لضائع المهان ، وأخذ ينهنه مثل طفل فقد أمه فجأة ، وارتمت عليه سارة وضمت رأسه إلى صدرها ، قبلت وجهه وشربت دموعه ، همست له : تعرف أنا أحس بنفس شعورك ودائمًا ما يتملكنى إحساس بالضياع وخراب النفس . قال : سرقوا أحلامنا ولاد الكلب ، باعوا كل شىء ولم يتركوا لنا أى شىء ، سلسال لا ينقطع من الخونة والأفاقين ، ولا فائدة ، فكل شىء فى سبيله للانهيار . أرادت أن تسرى عنه

فقالت : تعرف ، قابلت مرّة فى باريس امرأة معها فتاتان تعرفت إليهن ، عرفت أن المرأة تدعى «حسناء» من الجزائر ، ورأيتها تؤجر فتاتيها للإخوة العرب هناك ، وحكت لى قصتها ، تعرف من هى تلك المرأة ؟ إنها زميلة «جميلة بوحريد» نفذت معها كل العمليات وسجنت وتعذبت معها . قالت إنها بعد قيام الثورة الجزائرية لم تجد ما يسد رمقها هى وبنتيها فتحولن ثلاثتهن إلى مومسات تتجولن فى كل العواصم العربية من المحيط إلى الخليج ، كانت تضحك وتقول لى : إن الوحدة العربية التى لا يغلبها غلاب تجسدت فى هون ، وتشير إلى ما بين فخذيها ، فالعرب لم يلتقوا على شىء إلا هذا ضحكت سارة وداعبته فابتسم قال : هل تدرين ما هو أصعب شىء أن تهزم روحك ، قد ينهزم المرء جسديًا ، لكنه لا ينكسر ، أما هزيمة الروح ، فهى الانكسار التام ، وما حدث لنا هو هزيمة الروح ، وليست إسرائيل هى التى هزمتنا ، إنما نحن هزمنا أنفسنا بأيدينا ، بأبطالنا وحكامنا وزعمائنا ، الكل باع ، وتركونا أسرى شعارات وغناوى عن الأرض والوطن . وقالت تعابثه : قم بنا نوحد كلمة العرب ، أليست هذه مهمة قومية ؛ أن نفعل فى الفراش ما عجز الأشاوسة عن فعله فى ميادين القتال .

(3)

كان لديه موعد مع أحمد سامى ، صديقه نائب الأحكام ، فذهب إليه فى منزله ، لكنه لم يكن قد وصل بعد فجلس على مقهى قريبًا من بيته بحيث يلمحه إذا جاء ، مرت ساعتان قبل أن يلمحه آتيًا من بعيد يرتدى

بذلة الجيش الكاكى حاملاً فى يده حقيبة سامسونايت سوداء ، اتجها معًا إلى المنزل ، وقبل أن يجلس ناوله مظروفًا به ألفان من الجنيهات ، أما الألف الثالثة ، فبعد إتمام العملية . أوقف تاكسيًا وتوجه إلى حيث يقيم مع سارة ، واكتشف أن أسبوعًا قد مر وبقى أسبوع آخر قبل يوم المحاكمة ، وشعر بحنين مفاجئ إلى زوجته ، محرزية لا تترك له وقتًا ، اشترطت ألا يفارقها ، وفى المقابل ، تعطيه كل ما يطلب ، تقول إن له جسدًا فرعونيًا جميلاً . وأنها سوف تمتصه حتى القطرة الأخيرة ، هى مثل أرض شراقى لا ترتوى أبدًا ، بل تطلب المزيد . قالت إنها سوف ترتب أمورها بحيث يكون معها فى أى مكان تقيم فيه ، وقالت إن زوجها رجل أعمال معروف يسافر كثيراً ويحب أن تكون معه ، لكنه يهملها وينصرف إلى عمله ، لذا فهو يتركها على حريتها فى البلاد التى يسافران إليها ، ومن السهل ترتيب الأمور ؛ من إرسال تذاكر السفر والحجز له بالقرب منها وهو بدوره رحب بالفكرة ، لكن هناك عقبة تحول دون ذلك ، وهى فى سبيلها للحل ، حدثها عن هروبه ومحاكمته المنتظرة ، وسعيه لإيجاد حل لها .

مرّ على أحمد. سامى فأخذه إلى حلمية الزيتون حيث قابلا أحد الأشخاص يدعى : عوض . يعمل رئيسًا للأمن بمستشفى الأمراض النفسية بالقوات المسلحة ، وكان أحمد قد اشترى له قطعة حشيش جيدة ، قال له : هذه القطعة تجعله يفعل أى شىء ، فهو مدمن ، وكان أحمد محقًا ، فقد سال لعابه حين رآها وأصبح مهيئًا لسماع كل ما يقولانه ، حدثه أحمد عن المشكلة ، وأن عليه إدخاله المستشفى لمدة أيام فقط والحصول على تقرير به دخوله وخروجه وتوصيف للحالة بأنها اضطرابات نفسية ، ثم غمز له

فتركهما بمفردهما دقائق ، ولحق به أحمد وعلى وجهه ابتسامة : ابسط يا عم ، كل المسائل تمشى كما نحب ، سيقوم بإدخالك غداً ، لكنه يطمع فى مبلغ كبير يقول إنه لمدير المستشفى . قال لا يهم ، الفلوس موجودة ، فقط ، لا تجعلنى أقضى يومًا واحدًا فى السجن .

(4)

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة صباحًا بقليل حين تململ وفتح عينيه، وكان المنبه الموضوع على الكومودينو من ناحيته وبالقرب من رأسه سكت منذ دقائق ، أزاح ذراع سارة عن صدره وتسحب بهدوء من جنبها خشية إيقاظها ، ووقف لحظة يتأمل جسدها البديع العارى والمتقوس فى حالة استرخاء تامة ، ثم انسل خارجًا فأخذ دُشًا باردًا أنعشه وارتدى ملابسه وخرج ، كان الصباح ما زال مضببًا ومندى ، أشار لعربة أجرة ، كانت المسافة قصيرة والشوارع هادئة ، بعد دقائق توقفت العربة أمام المستشفى ، ولمح عربة أحمد سامى بالقرب من السور فاتجه إليها ، أغلق العربة واتجها سويًا إلى الباب الرئيسى فدخلا منه ، اتجها إلى مكتب قائد الأمن بالقرب من البوابة ، وجداه جالسًا خلف مكتبه ، قام ورحب بهما فجلسا ، لم يكن بالحجرة أحد فأشار له : درست الحالة كويس ؟ أنت مصاب بحالة اكتئاب وفقدان ذاكرة . هز رأسه بالإيجاب . لقد درس الحالة بالفعل فى أحد الكتب ، وعرف أعراضها جيدًا ، سوف يظل صامتًا طوال الوقت ، وسوف يبدو عليه القلق من خلال حركات يديه ووجهه ، يدخن كثيرًا ويسرح فى لا شىء ، ينسى بعض التفاصيل حول تاريخ ميلاده ونشأته ، العزوف عن

الطعام ، فهناك من يرقبه طوال الوقت ، وفى النهاية يكتبون تقريراً بالحالة ، وإذا جاء التقرير فى غير صالحه ، هنا تبدأ مهمة المدير فيقوم باستبداله بآخر يكون به المطلوب بالضبط . أخذه من يده إلى حجرة المدير . قال : انتظرنى لحظات بره . دق الباب ودخل وأغلقه خلفه ، غاب بعض الوقت فبدأ يشعر بالقلق ، عاد وأمره بالدخول ، كان مدير المستشفى يجلس خلف مكتب ضخم ، جسده الضخم يتناسب مع حجم المكتب ، وقف أمامه صامتًا فى وضع انتباه ، بينما وقف رئيس الأمن بجانب المدير . كان صوته هادئًا وعميقًا وهو ينظر إليه : أنت فعلاً مريض ، ولاّ بتتمارض ؟ أنت عليك أى أحكام ؟ شعر باضطراب وتخيل للحظة أن فخًا نصب له ، وأن المدير لا يعرف شيئًا ، وسوف يكشفه ويسلمه للشرطة العسكرية الآن ، ولم ينقذه من تلك اللحظة إلا صوت صاحبه يرد على المدير : طبعًا مريض يا فندم كما قلت لسيادتك وشرحت حالته . نظر إليه ، ثم أخذ يدون فى ورقة أمامه ناولها لرجل الأمن الذى اتجه إليه وهتف : انصراف . حين غادر مكتب المدير تنهد بارتياح ونظر إلى رئيس الأمن فابتسم يطمئنه وأشار إلى الورقة : ورقة دخولك المستشفى وقعها المدير ، وكل شىء ماشى حسب اتفاقنا ، تتبقى بعض الإجراءات وينتهى الموضوع ، أخذه من يده يوقع الورق فى عدة مكاتب حتى أنهى الإجراءات : مبروك ، أنت دلوقت محجوز من النهاردة ، وكلها أيام وتخرج بالتقرير . تبعه إلى المكتب حيث كان أحمد سامى جالسًا فأخبراه بما حدث . سلم عليه وعلى رئيس الأمن الذى شد على يده قائلاً : مش هاسيبك ، اطمئن ، هامر عليك من وقت للتانى ، جاءت إحدى الممرضات وقادته إلى أحد العنابر وأشارت إلى

سرير خال فى آخر العنبر فاتجه إليه . كان العنبر كبيراً وواسعًا به ثمانية عشر سريراً متقابلين ، بعض المرضى كانوا جلوسًا فأخذوا يتأملونه وهو يمر بينهم. استلقى على سريره واغمض عينيه ، وشعر براحة وهدوء ، هو الآن مراقب منذ هذه اللحظة ، وأى حركة يقوم بها تسجل فى ملفه ، لذا فقد وضع لنفسه برنامجًا سوف يقوم بتنفيذه تدريجيًا ، لا أحد يعلم بوجوده هنا الآن ، زوجته تعلم أنه فى مهمة مع الرائد منذ أسبوع ، الرائد وزوجته غادة لا يعلمان عنه شيئًا ، وسارة لم يقل لها على تلك الخطوة ، لابد أنها سوف تتساءل عن سر تغيبه، قد تسأل زوزو ، لكن زوزو أيضًا لا تعرف شيئًا .

قال لنفسه : هذا وضع مثالى ، لأول مرة يجد نفسه حراً وقد تخلص من كل من ارتبط بهم فى خطوة واحدة ، وبدا ذهنه صافيًا ، ولا يدرى لماذا يتذكر الآن فجأة يوم وفاة عبد الناصر ، خروجه هو وشباب الحارة يحملون الأعلام السوداء ، يطوفون حوارى بولاق الدكرور ومن خلفهم النساء يرتدين الملابس السوداء والجميع يهتفون : الوداع يا جمال يا حبيب الملايين، كانت أمه بينهن ، سيرهم على أقدامهم حتى كوبرى القبة ليروا جثمانه ويودعونه لمثواه الأخير ، دائمًا ما تقترن لحظة موت جمال بلحظة موت أمه ، كلاهما كان حجر أساس فى حياته ، وبموتهما شعر بهذا الأساس ينهد وأن حياته هى الأخرى فى طريقها إلى الانهيار ، هو الآن على مرمى البصر من الجامع الذى بناه جمال ليدفن فيه ، كان موت جمال مقدمة لموت الوطن ، وموت الأفكار الكبرى العظيمة . لحظة أخرى تستدعيها الذاكرة واضحة ، ظهور السادات على الشاشة يوم الخامس عشر من مايو عام واحد وسبعين ، إعلانه على الملأ بشكل تمثيلى عن ثورة

التصحيح ، تطهير مصر من مراكز القوى ، إحراقه لأشرطة التسجيل التى سجلت عليها مؤامرتهم لقلب نظام الحكم ، وتساءل لحظتها أى حكم هذا الذى يقلبونه ، أليسو هم الحكام ، وأى رجال هؤلاء الذين لمهم السادات فى لحظة ، سوف يراهم فيما بعد عند تأسيس الحزب الناصرى ، وقد انحنت ظهور من تبقى منهم وتهدلت جلودهم ، وسوف يقول لنفسه إنهم رجال هاشون ضعفاء ، استطاع لمهم فى قفص واحد مثل فراخ شاردة . فى أحد الأيام ، كان يمر على أحد المحلات فى باب اللوق تخصص فى بيع الأشياء القديمة ، ورأى أمامه عدة تليفون معروضة للبيع ، وتسمر مكانه غير مصدق ، كان التليفون الخاص بحجرة نوم عبد الناصر ، لونه الأسود أبنوسى . طويل وأنيق ودقيق الصنع كان الروس قد أهدوه لجمال ، قرأ اسم عبد الناصر محفوراً عليه ، ثم اسماء مكتبه وأعضاء مجلس قيادة الثورة . سأل الرجل عن ثمنه ، كان ثمنه مائة جنيه وكانت جيوبه خاوية ولم يعرف كيف يتصرف ، جرى إلى أحد أصدقائه ممن يبيعون ويعيشون باسم عبد الناصر . أراد اقتراض المبلغ منه فاعتذر ، حدثه عن التليفون فقال له انتظر دقيقة ، وأدار قرص تليفون أمامه، تحدث باحترام بالغ إلى أحد الأشخاص ، فجأة أعطاه السماعة وهمس له : سامى شرف على التليفون ، تحدث معه وصفه له ، أما الآخر ، فقد حدثه بألفة من يعرفه منذ زمن ، قال له : صفه لى . فأخذ يصفه له بدقة ، لونه الأسماء الموجودة على العدة بالترتيب . عقب بعد حديثه : ذلك هو تليفون حجرة نومه ، اقترح عليك الحديث مع هدى عبد الناصر . أعطاه رقم تليفونها ، اتصل صديقه بها وتحدث معها ، قالت إنهم باعوا كل ما يخص عبد الناصر «لط» فى مزاد .

أعطاها عنوان المحل . ضحك وتساءل: ألا يوجد مع أحدهم مائة جنيه لشراء عبد الناصر . لحظتها فقط عرف لماذا كانوا بهذه الهشاشة ، لقد باعوه حيًا وميتًا . فى طريق عودته مرّ على المحل، ورأى سيدة عجوز تساوم البائع على العدة ، واشترت عدتين بمائة جنيه ، واحدة تخص عبد الناصر ، والأخرى رسم عليها التاج الملكى للملك فاروق لم يكن قد رآها .

جاء موعد الغداء فأحضروا إليه صينية بها أرز وخضار ولحم وبرتقالة ، ثـ أعطته الممرضة بعض الأقراص ، وكان عليه إظهار بعض التقلصات أمامها ، وباغتته فجأة بسؤالها عن اسمه فلم يرد ، وتمدد على السرير ، ثم قام وأخذ فى السير جيئة وذهابًا ، وأحس أنها ترقبه فاستمر فى السير حتى ذهبت فاستلقى مرة أخرى على سريره دون أن يمس طعامه . واستدعى تصاويره مرة أخرى .

كان السادات قد أعلن عن رغبته فى زيارة القدس ، والصلح مع إسرائيل ، حدثت بعدها مناوشات بينه وبين العقيد القذافى الذى وصمه بالخيانة ،وأصدر السادات قراره بمهاجمة ليبيا وتأديبها عسكريًا ، كان هو وقتها يخدم فى الجيش خدمته الإلزامية ، وتحركت كتيبته للوصول إلى الحدود المصرية الليبية ، ووصلوا إلى مرسى مطروح ، وصدر لهم الأمر بالاستراحة بعض الوقت ثم مواصلة الزحف حتى السلوم ، كانت المهمة ثقيلة على الجنود والضباط على السواء ، لقد خاضوا حروبًا كثيرة ضد أعدائهم الإسرائيليين ، لكنها المرة الأولى التى يحاربون عربًا مثلهم . وظل طوال الطريق يفكر : ماذا يحدث لو هرب ؟ العقوبة محاكمة ميدانية عقوبتها الموت رميًا بالرصاص ، أليس أفضل له من أن يقتل أو يقتل بلا

سبب ؟ وهل لو قتل يصبح شهيداً ؟ إنه لا يحارب عدواً له ، ولا يدافع عن أرضه ، وليست هناك أية قضية يدافع عنها ، المسألة كلها تصفية حسابات بين زعيمين على زعامة المنطقة ، مسألة شخصية ، يعنى فى مرسى مطروح قال لنفسه : تلك هى الخيانة بعينها ، فليس هناك أبشع من زعيم يخون شعبه من أجل مصالح شخصية . وحين استأنفت القافلة رحلتها ، كان هو قد اختفى، ركب عربة عاد بها إلى القاهرة وهو يردد : الزعماء يموتون ، أما الشعوب فهى التى تعيش .

حين أتت الممرضة بطعام العشاء ، نظرت إلى صينية الغداء فرأتها لم تمس ، وتعمد هو أن يشعل سيجارة أمامها ويأخذ نفسًا طويلاً ثم يرميها إلى الأرض ويدوس عليها بقدمه بشدة ، بل أخذ يضرب بقدمه فى السيجارة بعنف حتى أذابها فى البلاط ،ثم أشعل أخرى ، خرجت الممرضة دون أن تتحدث معه . كل شئ يسير كما خطط له تمامًا ، وعليه ألا يسترخى ، فهم يرقبونه ، ولابد أن يفتعل حادثة صغيرة تبرهن على خطورة مرضه ، نظر إلى المريض النائم فى مواجهته وخطر له خاطر ، جمع فى فمه كمية كبيرة من البصاق واتجه ناحيته وقذفها فى وجهه . هبَّ الآخر من فوق السرير وصفعه صفعة قوية ، ولم يعد فى حاجة إلى تمثيل ، فقد آلمته بشدة فبكى ، واتجه إلى سريره وأخذ يضرب رأسه فى الوسادة بانفعال وغضب ، ولم يطل انتظاره ، فقد جاء ثلاثة رجال ثبتوه فى السرير وأعطوه حقنة مخدرة فنام على الفور .

فى الصباح ، شعر بهدوء لم يشعر به من قبل ، فقد نام نومًا هادئًا طوال الليل ، وتذكر ما حدث بالأمس فكاد يضحك ، لكنه تماسك حتى لا يشعر

به أحد ، له الآن يومان فى المستشفى ، وبقى له يومان آخران ، وهو يمشى على برنامجه بدقة ، وسوف يستدعى تصاويره إلى أن تأتى الممرضة .

(5)

لم تؤرقه مشكلة فى حياته مثلما أرقته مشكلة أخوه الأصغر، فقد سافر إلى العراق فى منتصف الثمانينيات ليشق طريقه بعد أن أغلقت فى وجهه سبل الحصول على عمل ، مكث في العراق ثلاثة شهور فقط قضاها عاملاً فى مصنع للملابس الجاهزة ، عاد بعدها وقد تبدل إلى آخر كارهًا للحياة ، كان يقضى الساعات وحيداً شارداً لا يكلم أحداً ، وإذا خرج يختفى أيضًا بالساعات ، أين يذهب ؟ ما الذى حدث له هناك ؟ أطال لحيته فجأة ، وأصبح ينظر لكل شئ بعين الحلال والحرام ، وكان عنفه يزداد فى معاملته مع إخوته ، صب هجومه عليه ، شرب السجائر حرام ، الفرجة على التليفزيون حرام ، لعب الطاولة حرام ، قراءة الكتب سوى القرآن والسنة حرام . كلما تناقشا اتهمه بالكفر والضلال .

كان يحس أزمة أخيه النفسية لما حدث فى العراق . لكن ما الذى حدث له هناك؟ لقد ظل سراً لم يبح به لأحد . وعرف أنه انضم لإحدى الجماعات ، وأنه يذهب لأحد المشايخ كل يوم ، كان يردد مثل ببغاء ما يسمعه عن الشيخ . قال له فى إحدى المناقشات أنا لا أعترض على ما تفعله، فقط عليك قبول الرأى الآخر دون تكفير ، أنا أؤمن مثلك ، كان دائمًا يستشهد بأحد أبيات المتنبى الشهيرة : أغاية الدين أن تحفوا شواربكم ،

يا أمة ضحكت من جهلها الأمم . فيرد عليه قائلاً : حتى المتنبى الذى تستشهد به كان كافراً وادعى النبوة .

لقد تفاقمت الأزمة بينه وبين أخيه إلى حد المقاطعة . فى بداية السبعينات ، أطلق السادات الجماعات الدينية من المعتقلات ، وأعطاها الضوء الأخضر لمزاولة نشاطها مرة أخرى ؛ فعل ذلك لضرب القوى الوطنية وجماعات اليسار ، وانطلقوا يعيدون تنظيم صفوفهم ويصححوا مسارهم انطلاقًا من مقولة زعيمهم الروحى سيد قطب أن التغيير لابد أن يأتى من القاعدة إلى القمة ، ولابد من ارتباطهم بالناس عن طريق تقديم خدمات ، فبدأوا فى إنشاء منشآت خدمية بديلة عن الحكومية ، مسجد فى كل شارع وحارة عبارة عن مجمع خدمى به مدرسة وحضانة ومستوصف ، مصارف إسلامية رفعت شعارات ضد البنوك الربوية وتحمل اسماء إسلامية، فى المواسم والأعياد ، كان يرى البيت يتحول إلي خلية نحل ومخازن للغلال واللحوم، كانوا يحملون كشوفًا دونت فيها أسماء عائلات فقيرة تعيش تحت حد الفقر ، وكانت الحقائب البلاستيك تحمل إليهم يوميًا مكدسة بالخضار واللحم والمواد التموينية ، كان يرى الناس يأتون إلى أخيه، يقفون طوابير من أجل الحصول على حقيبة تموينية أو مساعدات مالية . وفى ظل غياب الحكومة والأحزاب السياسية ، كان هذا هو البديل الناجح أمام الناس ، ربما كان يعجب بهم فى قرارة نفسه ، بل إن بعض أصدقاء أخيه أصبحوا أصدقاء له، وكثيراً ما كانوا يتناقشون فى السياسة والدين ، بل إن بعضهم سأله ذات يوم قائلاً : نحن نعرف أنك ناصرى ، وكثيراً ما نتعجب حين نراك تذهب إلى المسجد للصلاة بيننا !

يذكر تلك الليلة ، كان مؤرقًا ولا يدرى سببًا لذلك ، وكان أخوه أيضًا مؤرقًا ، فجأة جاء ليجلس معه ، ورآه ساهمًا ، كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحًا ، قال له : عندى يقين بأنهم سوف يداهمون البيت اليوم . ولما استفسر منه عرف أنهم قبضوا على بعض أصدقائه وقد أخبروهم عنه . أراد المبيت عنده ، لكنه عدل رأيه قائلاً إنه سوف ينام بين أولاده فى شقته وتركه ومضى . كانت المرة الأولى التى يراه مهزومًا وخائفًا ، أحس بالخوف عليه كما لم يحس من قبل ، فقد سمع عن حفلات التعذيب ، مداهمة بيوتهم ، وتصفيتهم جسديًا ، أسر بأكملها تمت تصفيتها ، وبيوت تم إحراقها ، لقد قرأ مرة فى إحدى جرائد المعارضة أن الجماعات المتطرفة تقابلها حكومة أكثر تطرفًا ، يعلم أنهم يحتفظون بملفات لكل من له نشاط سياسى أو دينى ، ولابد أنهم سيفرقون بينه وبين أخيه ، فهم يعرفونه جيدًا ، أثناء هروبه من التجنيد ، جاءه ضابطان من مباحث أمن الدولة وقالا له أنهما يستطيعان مساعدته وتسوية الأمر إذا دلهما على أسماء بعض أصدقائه . استمرت جلسته معهما أربع ساعات كاملة دون طائل ، قال إنه لا يعرف أية أسماء وليست له صلة بأحد ، ووقف أبوه غاضبًا وقال لهما يا بنى إنت وهو إحنا ناس مانناش دعوة بحد . منذ لحظتها ، عرف أنهم يرصدون حركته ، وأن له ملفًا لديهم .

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بقليل ، حين سمع صوت عربة تقف أمام الباب بغتة ، جرى إلى الشباك المفتوح ، ومن وراء الستار رأى عربة ميكروباص تسد باب البيت ، وخلفها عربة أخرى ، ورأى الجنود والضباط ينزلون من العربة مدججون بالرشاشات ، وفى لحظة واحدة أدرك الموقف ،

ارتبك للحظات ، ماذا يفعل ؟ هل يغلق بابه على نفسه ويتركهم ينفردون به ؟ هل جاءوا وفي نيتهم تصفيته جسديًا ؟ وإذا كان الأمر كذلك هل يخطئون ويصفُّونه هو ؟ أم يتم قتلهما هما الاثنين ؟ أحس لحظتها بحب جارف نحو أخيه ، وتمنى ألا يحدث شيء مما تخيله الآن ، ربما لو أراهم نفسه يعطلهم لحظات تعطيه فرصة للهروب . سمع خبطًا على باب أخيه ، وفتح هو باب شقته في الدور الأخير ووقف على السلم وقال : من ؟ ورأى الجنود يحاصرون شقة أخيه بالدور الثانى ، وبدأ ينزل السلالم ببطء ، وانتبهوا له ، وأخذت الرشاشات تتجه نحوه ، وانطلقت في وجهه كشافات ضوء قوية ومبهرة فلم يعد ير شيئًا ، ورفع ذراعيه فوق رأسه ، ووصل إليهم فأحاطوا به ، وظنوه هو ، لكنه أنكر فصدروه ناحية الباب وأمروه بالطرق ، كانت رشاشاتهم تلاصق ظهره ، وبدأت أفكاره تتسارع مع دقات قلبه ، سوف يسلمه لهم بهدوء ؛ خوفًا من غدرهم به ، هو يثق أن أخاه لن يكون عنيفًا ، إنما العنف يبدر منهم عند أى حركة حتى وإن كانت غير مقصودة ، في تلك اللحظات المتوترة نادى عليه ، أراد أن يسمعه صوته حتى يطمئنه ، دقائق مرّت كسنوات قبل أن ترد زوجته ، أمرها بفتح الباب ، تلكأت لحظات قبل فتحه ، اندفعوا داخل الشقة وانتشروا في كل الحجرات ، سألوها عنه فانكرت وجوده ، أخذوا يفتشون كل شيء ، اتكأ هو على حائط وتنهد ، سألوها بشكل مباغت عن بطاقته ، وكانت هى سريعة البديهة في هذه اللحظة فأجابت أنها معه في جيبه ورآها تدسها في جيب جلبابها خلسة . بعد قليل سأله الضابط عن اسمه وهو يفتش في كتب أخيه ، وبدا الحوار هادئًا ومهذبًا ، وتبادلا السجائر . وإمعانًا في

الحبكة ، فقد نزلت زوجته بعـد أن أغلقت الباب وراءها وسألته عن المفتاح لأن الباب أغلق وراءها بفعل الهواء ، وصعـدت مرة أخرى وأخذت تخبط على البـاب حتى يفـتح الأولاد النائمـون بالداخل ، وصدقـوا التمـثيليـة ، وانتهوا سـريعًا ومضوا بعـد أن أخذوا بعض الكتب على وعد بتسـليمه فى الصبـاح . سأل زوجتـه : راح فين ؟ أشارت إلى المنور . فتح الشـباك ونظر فلم يجـد شيئًـا . وكان هو حين أحس بهم نط من شـباك حجـرة النوم إلى المنور ، ثم صعد على المواسير إلى شقته بالدور الأخير

فى الصـباح خـرجت الصـحف بمانشيـتات عـريضـة عن تنظيم إرهابى جديد ، وإحباط محاولة لقلب نظام الحكم ، كـان اسم أخيه يتصدر القائمة . قام بعـد ذلك بتهريبـه فى شقة آمنة حتى سـقطت القضيـة وأفرج عن كل المعتقلين .

(6)

كان نائما حين حدث ما لم يكن فى الحسبان ، فقد فتح عينيه فجأة على المريض الذى افتـعل معه مشـاجرة ، يقف أمامـه جنب السرير ، ولم يمهله ، فقـد أطبق بكلتهـا يديه على عنقه ، ضـربه بقدمه فى بـطنه وصرخ ، وحين أتوا، كان الآخـر يرقد فى سـريره ، أشار ناحـيتـه : كاد يخنقنـى ، دا عامل نفسـه نايم . لكنهم لم يصدقوه ، وحـسبوه يهلوس . واغـتنمها فـرصة فلم يصحح ما ظـنوه ، وعدها نقطة فى صالحه ، لكنه لم ينم طوال الـليل خوفًا من إعادة المحاولة .

عند منتـصف النهار ، انتبـه على صوت رئيس الأمن ، جـاء ليراه كـما وعده قال : تشـجع ، هانت ، كلها يوم أو يومين وينتهى التـقرير ، حكى له

عما حدث بالأمس ، وأنه كاد يموت خنقًا بين يدى الرجل . هز رأسه : نعم قريت اللى حصل فى التقرير ، وهو على كل حال فى صالحك . قال له إنه بدأ يشعر بالملل ، ثم إنه يخاف أن يعاود الرجل المحاولة . ودعه على وعد بالمجىء إليه غداً . له حتى الان أربعة أيام ، وبقى على موعد المحاكمة ثلاثة أيام ، ولا أحد يعلم بوجوده هنا سوى صديقه أحمد سامى وهذا الرجل رئيس الأمن، وكان من المفروض أن يخرج غداً ، فما الذى يحدث؟

اصبح على حذر من كل من حوله ، وزادت تقلصات وجهه وأصبحت تتم دون إرادته بعد أن كان يفتعلها ، وأخذ القلق يستبد به وأخذ يهرب كثيراً إلى أحلامه ، استدعت ذاكرته كل من عرفهن من نساء ، نادين ، غادة، زوزو ، أمينة ، سارة ، عفاف ، أوقفهن صفًا واحداً ومارس معهن الجنس دفعة واحدة ، وأخذ عضوه ينتفخ ، فضغط عليه بشدة حتى انفجر سائله ، أخيراً هدأ فراح فى النوم مرة أخرى .

مرّ يومان دون أن يسأل عنه أحد ، حتى رجل الأمن لم يحضر ، كان قد لملم أشياءه استعداداً للخروج ، وأحس بقلق مبهم ، وأن شيئًا غير عادى يحدث . قال لنفسه : لابد أنهم يكتبون التقرير الآن ، وأنهم سيرسلون فى استدعائه فى أية لحظة ، وبدا أن الوقت لا يمر ، وأن الزمن قد توقف ، اتخذ قراراً بمقابلة المدير ، فلعلهم نسوه . استدعى إحدى الممرضات وطلب منها مقابلة المدير فى أمر عاجل وهام . فأهملته بعض الوقت ، ومرت ساعة فطلبها مرة أخرى وأخذ يلح فوافقت ، فى طريقه إلى حجرة المدير ، مر على حجرة رئيس الأمن فلم يجده ، سأل عنه فعلم أنه قام بأجازة طويلة ، كان المدير جالسًا خلف مكتبه كما رآه أول مرة ، تقدم منه ووقف أمامه ،

وراه ينظر إليه بدهشة من يتذكر أين رأى هذا الوجه من قبل . قال : سيادتك نسيتني ولا إيه ؟ هز المدير رأسه : لا يا ابنى فاكرك طبعًا ، فيه حاجة؟ كان ميعاد خروجى من يومين وما خرجتش لغاية دلوقت . أى خروج يا بنى ؟ سأل المدير . دب الخوف فى قلبه فجأة ، وأخذت تقلصات وجهه تعمل عملها . سيادتك افتكرنى ، رئيس الأمن جابنى ليك واتفقنا على التقرير عشان المحكمة . أخذ يحملق فيه وتساءل : أى تقرير ؟ ومين اللى جابك هنا ؟ شرح له الأمر مرّة أخرى . هز المدير رأسه كمن تذكر فجأة : آه .. التقرير ، اطمئن يا بنى ، شفاؤك قرب ما تخافش . انفعل وأخذ صوته يعلو : ولكن أنا مش مجنون وماجيتش المستشفى إلا عشان التقرير . مفهوم ، مفهوم . كلها يومين وتخرج بالسلامة . أشار للممرضة فسحبته من يده ، ولمح ملفه على المكتب والمدير يدون به بعض الملاحظات ثم أعطاه للمرضة التى أخذته من يده وخرجت به . كان مغتاظًا فأخذ يتحدث إلى نفسه بصوت عال فى طريقه إلى العنبر : الراجل مش فاكرنى ، وبتاع الأمن فى أجازة ، وأحمد سامى اختفى ، ومحدش يعرف إنى محجوز هنا ، والمدير عاملنى كمجنون . شعر بالاختناق ، وبأنه محاصر ، لابد أن هناك خطأ ما ، أو هى مؤامرة ضده ، من الذى دبرها ؟ ولماذا ؟

حين دخل العنبر ، جلس على سريره هادئًا ، وسرح ببصره إلى الخارج ، واستدعى حياته السابقة كلها ، وأخيرًا تنهد ، كان يفكر الآن فى وضع خطة للهروب من هذا المستشفى اللعين .

خيرى عبد الجواد

بولاق الدكرور

الفهرس

صدر للمؤلف

- حكايات الديب رماح قصص - طبعة أولى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧

طبعة ثانية مركز الحضارة العربية ١٩٩٥

- حرب أطاليا قصص - طبعة أولى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨

طبعة ثانية مركز الحضارة العربية ١٩٩٨

- كتاب التوهمات رواية - طبعة أولى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢

- العاشق والمعشوق رواية - طبعة أولى دار شرقيات ١٩٩٢

طبعة ثانية الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) ١٩٩٦

طبعة ثالثة مركز الحضارة العربية ١٩٩٨

ترجمت إلى الفرنسية عن دار النشر جاليمار ١٩٩٨

قررت على طلبة كلية دراسات عربية

- فرع الفيوم - الفصل الدراسى ٩٦/ ١٩٩٧

- حرب بلاد نمنم - قصص - مركز الحضارة العربية ١٩٩٧

- مسالك الأحبة - رواية - مركز الحضارة العربية ١٩٩٨

- يومية هروب - رواية - مركز الحضارة العربية ١٩٩٩

تحت الطبع :

- الجنى - رواية - الهيئة العامة لقصور الثقافة

من قائمة الإصدارات الأدبية

رواية .. قصة

العنوان	المؤلف
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقا	أحمد عمر شاهين
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
لا أحد يحبك	أماني فهمى
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيزيس	حسني لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازى
الحب والنار	خالد عمر بن ققه
أيام الفزع فى الجزائر	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيرى عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب أطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نعنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
الطريق والعاصفة	رأفت سليم
فى لهيب الشمس	رأفت سليم
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
أنا كنده	كيروجا ترجمة : رزق أحمد
سيرة عربة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقه	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقى عبد الحميد
الدمية	د.عبد الرحيم صديق
جسد فى ظل	عبد النبى فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحــــد	عبده خال
صعيدى صح	د. عزة عزت
الشاعر والحرامى	عزت الحريرى
فى انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
إينارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى	لوكيوس ابوليوس ترجمة د.على فهمى خشيم
سراديب	عفاف السيد
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحى سلامة
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوى
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
حب وظلال	كوثر عبد الدايم
ترانزيت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرجل	ليلى الشربينى
رجال عرفتهم	ليلى الشربينى
الحلم	ليلى الشربينى
النغم	ليلى الشربينى
الخرابة 2000	محمد الشرقاوى
كوميديا الإنسجام	محمد بركة
أشياء لا تموت	محمد صفوت
الحاج	محمد عبد السلام العمرى
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمرى
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتى الساخنة	محمد محى الدين
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
الهروب مع الوطن	ممدوح القديرى
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
ثلاث حقائب للسفر	منى برنس
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
ديسمبر الدافئ	هدى جاد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
فرد حمام	يوسف فاخورى

شعر ..

العنوان	المؤلف
أول الرؤيا	إبراهيم زولى
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولى
قصائد حب من العراق	البيـــاتى وآخرون
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطى
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطى
تماماً إلى جوار جثة يونسكو	رشيد الغمرى
كأنها نهاية الأرض	رفعت سلام
الألوان ترتعد بشراهة	شريف الشافعي
صلاة المودع	صبرى السيد
دنيـــــا تنادينـا	طارق الزياد
تلف	ظبية خميس
البحر . النجوم . العشب في كف واحدة	ظبية خميس
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافى
حواديت لفندى	عصام خميس
سيرة الماء	د . علاء عبد الهادى
راتب الألفة	علوان مهدى الجيلانى
إضاءة فى خيمة الليل	على فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوى
إذهب قبل أن أبكى	د . لطيفة صالح
الغربة والعشق	مجدى رياض
مشاعر همجية	محسن عامر
غربة الصبح	محمد الفارس
وَنَس	محمد الحسينى
ليالى العنقاء	محمد محسن
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لى	نادر ناشد

مسرح ..

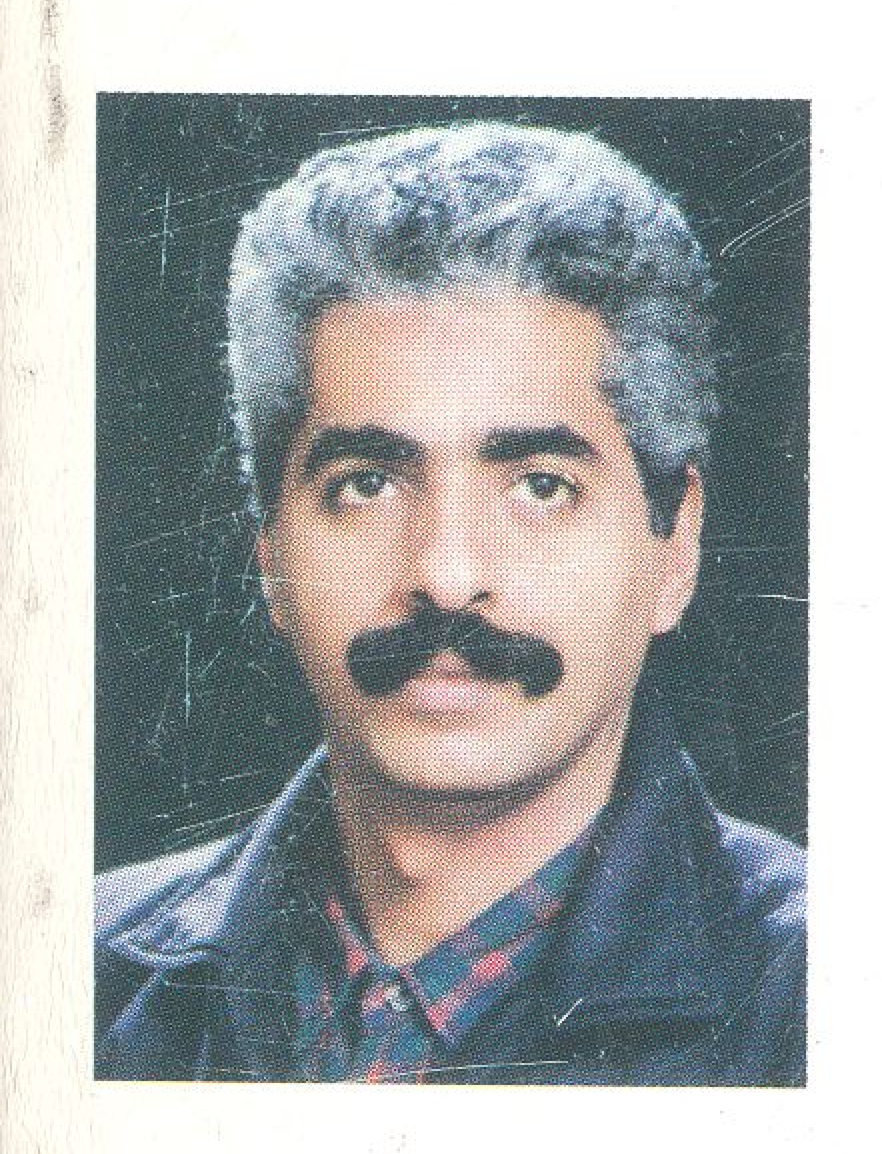
العنوان	المؤلف
هذه الليلة الطويلة	د.أحمدصدقى الدجانى
اللعبة الأبدية (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
مملكة القرود	محمود عبدالحافظ

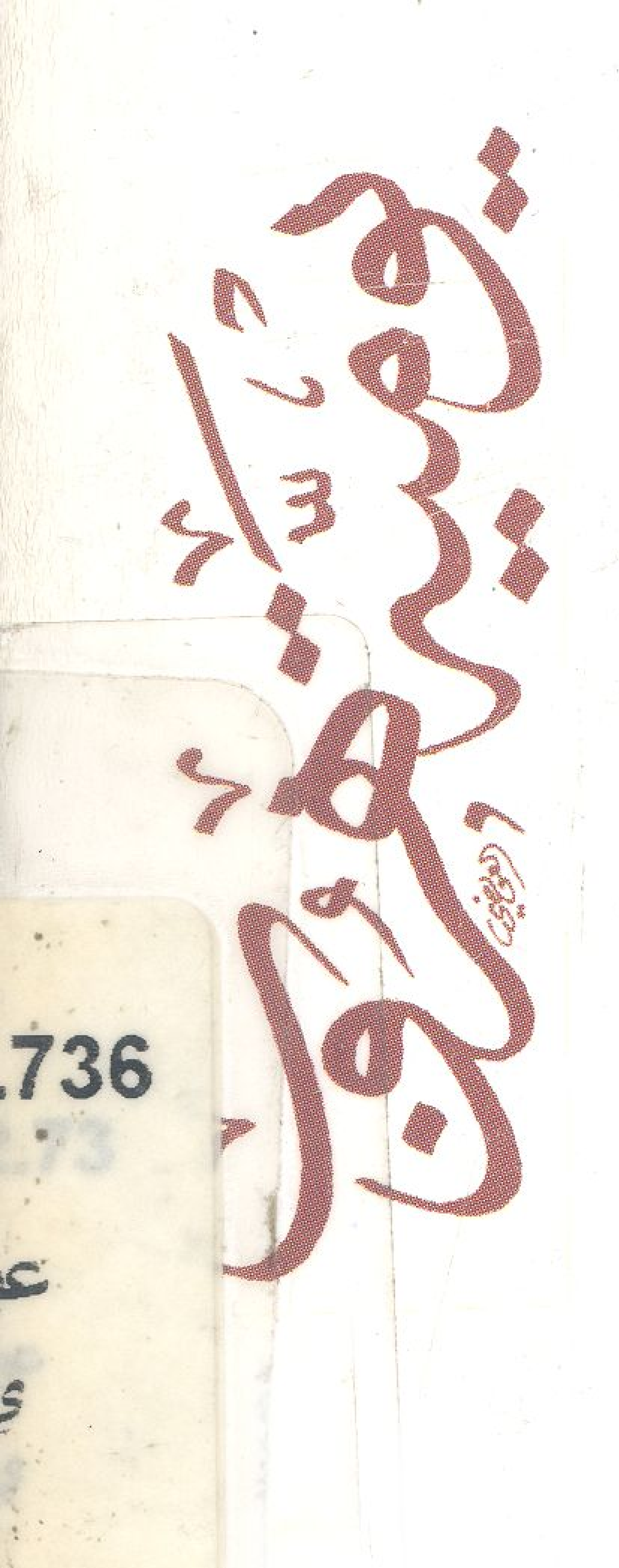
دراسات ..

العنوان	المؤلف
هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية	أحمد الأحمدين
قراءة المعانى فى بحر التحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
اللغة والشكل	أمجد ريان
المثقفون العرب والتراث	جورج طرابيشى
ثقافة البادية	حاتم عبد الهادى
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعونية	سليمان الحكيم
البعد الغائب : نظرات فى القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
رواد الأدب العربي فى السعودية	شعيب عبد الفتاح
الكتابة المشروع	شوقى عبد الحميد
رحلة الكلمات	د . على فهمى خشيم
بحثاً عن فرعون العربى	د . على فهمى خشيم
أعلام من الأدب العالمى	على عبد الفتاح
هيمنجواى حياته وأعماله الأدبية	د . غبريال وهبة
زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة	مجدى إبراهيم
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى
أدب الطفل العربى بين الواقع والمستقبل	ممدوح القديرى
الرواية العربية : رسوم وقراءات	نبيل سليمان

بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - تراث - أطفال .
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.

الآراء الواردة فـى الإصـــدارات لا تعـــبـــر بالضـــرورة عـن آراء يتـــبناهــا المركـــز





كانت أضواء النيون المنبعثة من الفنادق والعوامات تتلألأ فى مياه النيل ، وهبت نسمة هواء طرية أنعشته، كان ذهنه صافياً فسرح فى ماء النيل المنساب برقة ، وتعجب لتلك السكينة التى تجتاحه الآن ، تلك الحياة التى تاق إليها ، حياة الناس الذين لا ينتمون إليه ، الناس الذين يعيشون فى أضواء الليل الملونة والنسمات الطرية المنعشة والسهرات الحمراء المعطرة ، حياة تختلف عن حياة ناسه فى الأحياء الشعبية ، كان يعرف أن القاهرة تحيا حياتين ، واحدة بالنهار، وتلك قاهرة العرقانين الذين يجرون صباحاً على أرزاقهم ، قاهرة الازدحام وعادم السيارات والأتربة والغبار والعرق وصهد الشمس ، تلك قاهرة قاهرة ، أما القاهرة الأخرى ، فهى أضواء النيون الملونة والأنفاس المعطرة وعربات المرسيدس ونساء يتحممن بالشمبانيا واللبن الحليب ويتمرغن فوق صدور الرجال ، قاهرة رجال الأعمال والعوامات والشقق المفروشة وهمسات المومسات على أجساد عرب الخليج ، وأقدام الراقصات فى شارع الهرم وعماد الدين وجامعة الدول العربية المغطاة بأوراق البنكنوت والبارفانات الباريسية ، إلى أيهما ينتمى الآن ؟

